بسم الله الرحمن الرحيم


جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية اللغات – قسم اللغة العربية


بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد بعنوان:-

# الغربة والحنين في الشعر السوداني (دراسة تحليلية وصفية)

# Nostalgia and exile in Sudan's poetry (An Analytical Descriptive Study)


الطالبة: ست البنات أحمد فضل الله

الدكتور: يوسف علي الدويدة


2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

# الآية

قال الله تعالى في محكم تنزيله

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }

سورة المجادلة

الآية (126)

# الإهداء

إلى من يسعد قلبي بلقياها

**إلى روضة الحب التي تنبت أزكى الأزهار**

**أمي**

**إلى رمز الرجولة والتضحية**

إلى من دفعني إلى العلم وبه ازداد افتخار

**أبي رحمه الله**

إلى من هم اقرب ألـيّ من روحي

إلى من شاركني حضن ألام وبهم استمد عزتي وإصراري

**اخوتي**

إلى من آنسني في دراستي وشاركني همومي

**تذكاراً وتقديراً**

**زوجي ورفيق دربي دوماً**

**إلى هذه الصرح العلمي الفتي والجبار**

**جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا**

# الشكر والعرفان

لابد لنا ونحن نخطو خطواطنا الأخيرة فى الحياة الجامعية من وقفة نعود فيها الى أعوام قضيناها فى رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام اللذين قدموا لنا الكثير باذلين لذلك جهوداً كبيرة فى بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد ...

وقبل ان نمضى نقدم اسمى آيات الشكر و الإمتنان و التقدير و المحبة الى الذين حملوا اقدس رسالة فى الحياة

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم و المعرفة ....

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل...

"كن عالماً .. فإن لم تستطع فكن متعلماً ، فإن لم تستطع فأحب العلماء ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم ".

**ونخص بالشكر و التقدير :**

**الدكتور: يوسف علي الدويدة**

الذى نقول له بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الحوت فى البحر ، و الطير فى السماء، ليصلون على معلم الناس الخير"

## المستخلص

جاءت هذه الدراسة بعنوان: الغربة والحنين في الشعر السوداني، هدفت إلى دراسة هذه الظاهرة ومدى تأثيرها بالشعراء العرب ، والإجابة عن عدة أسئلة: هل كانت لظاهرة الغربة والحنين أثر واضح في الشعر السوداني؟ وماهي الأسباب والدوافع لحنين الشاعر وغربته؟ وهل عُرفت الغربة منذ نشأة الشعر في السودان، أم أنها كانت وليدة لظروف استجدت لاحقا.

اتعبت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

جاءت الدراسة في ثلاثة فصول، الفصل الأول بعنوان: ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي، الفصل الثاني: فتناول نشأة وتطور الشعر العربي في السودان، الفصل الثالث: مفهوم الغربة والحنين في الشعر السوداني.

خرجت هذه الدراتسة بنتائج أهمها: مكانة الوطن العظيمة عند الشعراء السودانيين وحنينهم رغم بعدهم، وشكّل اللون احدى عذاباتهم ومعاناتهم خارج أوطانهم. والبحث عن عوالم النفس وإثبات الهوية.

أوصت الدراسة بالاهتمام بالأدب السوداني كدراسة منهجية.

## Abstract:

The study entitled: Expatriation and Nostalgia in Sudanese Poetry.

The study aimed to study these phenomena and what its extent in effecting by the Arab poets, as well as to response the following enquiries:

Do the phenomena of expatriation and nostalgia has a clear effect in the Sudanese poetry?

What are the reasons and motives of the poet nostalgia and expatriation?

Does the expatriation has been known since the origin of poetry in Sudan, or it was newborn of later existed circumstance.

The study followed the descriptive and analytic method.

The study included three chapter, the 1st chapter entitled: Expatriation and Nostalgia in the Arabic poetry, while the 2nd chapter tackled the origin and development of the Arabic Sudanese poetry, in the 3rd chapter: the Concept of Expatriation and Nostalgia in the Sudanese poetry.

The study concluded to a number of results top of which are: the great status of the homeland of the Sudanese poets and the nostalgia despite their farness, formed and colored one of their torture and sufferings abroad, to research on the spirit's worlds and the identification.

The study recommended to concern on the Sudanese Art as a methodological study.

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | الرقم |
|---|---|
| الآية | أ |
| الإهداء | ب |
| شكر وعرفان | ج |
| مستخلص | د |
| Abstract | هـ |
| فهرس الموضوعات | و |
| المقدمة | 1 |
| مشكلة البحث | 1 |
| أسباب اختيار الموضوع | 1 |
| أهمية الدارسة | 2 |
| أهداف البحث | 2 |
| هيكل البحث | 2 |
| **الفصل الأول: ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي** | **4** |
| المبحث الأول: مفهوم الغربة | 5 |
| المبحث الثاني: مفهوم الحنين | 13 |
| المبحث الثالث: ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي | 19 |
| **الفصل الثاني: نشأة وتطور الشعر في السودان** | **38** |
| المبحث الأول: طور النشأة | 38 |
| المبحث الثاني: طور النمو | 48 |
| المبحث الثالث: طور التطور | 60 |

| | |
|---|---|
| **الفصل الثالث: الغربة والحنين في الشعر السوداني** | **69** |
| المبحث الأول: ظاهرة الغربة في الشعر السوداني | 69 |
| المبحث الثاني: ظاهرة الحنين في السودان | 71 |
| المبحث الثالث: من عوامل ظاهرة الاغتراب (نماذج من شعر الحنين والغربة في السودان) | 77 |
| الخاتمة | 106 |
| المصادر والمراجع | 108 |

**مقدمة:**

الحمد لله عدد أنفاس الكائنات، والسلام والصلاة على سيدنا محمد سيد السادات.

الشعر العربي كان وما يزال مؤثراً في تشكيل الوجدان السوداني وغرس القيم والمفاهيم، وما زال يبدع شعراؤه الذين تفاعلوا مع قضايا الشعر، وقد نما اتجاه الشعر في السودان حتى صار مرتكزاً وتياراً يغذي المكتبة العربية، فكثير من شعراء السودان كتبوا عن الوطن وغربتهم وحنينهم إليه، متأثرين بشعراء العرب، وقد عرف الشاعر العربي الغربة والحنين إلى الوطن منذ العصر الجاهلي.

تناولت الدراسة قضية الحنين وربطه بظاهرة الغربة باعتبارهما لا ينفصلان عن بعضهما البعض، فالغربة تكون خارج الوطن وأحياناً داخل النفس لأسباب كثيرة؛ مما يولد الحنين والشوق والبكاء بدموع حقيقية.

**مشكلة البحث:**

تتلخص مشكلة البحث في السؤال الآتي:

هل كانت لظاهرة الغربة والحنين التأثير الواضح في الشعر السوداني؟

**أسباب اختيار الموضوع:**

**من أقوى الأسباب:**

1. أن الشعر السوداني زاخر بكثير من القضايا التي تستحق الدراسة، منها ظاهرة الغربة والحنين التي يمكن أن تضاف إلى حقل الأدب والنقد .
2. عدم التوصل لوجود دراسة سابقة عن ظاهرة الغربة والحنين.

**أهمية الدارسة:**

تنبع أهمية الدراسة في:

1/ كونها خدمة للأدب السوداني.

2/ إلقاء الضوء على ظاهرة الغربة والحنين في الشعر السوداني ومدى ارتباطهما ببعضهم البعض.

3/ مدى تناول شعراء السودان لهذه الظاهرة.

4/ مراحل تطور الشعر عبر العصور المختلفة، بداية من الفونج حتى العصر الحديث.

المنهج المتبع في هذه الدراسة: المنهج التحليلي الوصفي.

**أهداف البحث:**

1/ الوقوف على ظاهرة الحنين والغربة.

2/ معرفة مدى تأثر الشعراء بالغربة وانعكاسها على شعرهم.

3/ الأسباب والدوافع التي جعلت من الشاعر السوداني متغرباً عن وطنه.

4/ هل كانت هذه الظاهرة قديمة من عصر الفونج أما أنها ظهرت بتطور العصور.

**هيكل البحث :**

جاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول

الفصل الأول بعنوان: مفهوم الغربة والحنين في الشعر العربي ويشمل:

المبحث الأول: مفهوم الغربة

المبحث الثاني: مفهوم الحنين

المبحث الثالث: نماذج من الشعر العربي

الفصل الثاني بعنوان: مراحل تطور الشعر العربي السوداني ويشمل:

المبحث الأول: النشأة

المبحث الثاني: النمو

المبحث الثالث: التطور

الفصل الثالث بعنوان: الغربة والحنين في الشعر السوداني وبه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مفهوم الغربة في الشعر السوداني

المبحث الثاني: مفهوم الحنين في الشعر السوداني

المبحث الثالث: أثر الهجرة ودوافع الاغتراب في الشعر السوداني

* نماذج لشعر الغربة و الحنين عند الشعراء

**الخاتمة:**

- فهرس الأشعار
- المصادر والمراجع

## الفصل الأول: ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي

- المبحث الأول: مفهوم الغربة.
- المبحث الثاني: مفهوم الحنين
- المبحث الثالث: ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي

## المبحث الأول:

## مفهوم الغربة:

### أ/ الاغتراب لغة:

ورد في معاجم اللغة العربية عدة تعريفات لمفهوم الغربة التي تعني (النزوح عن الوطن، وغَرُبَ أي: بَعُدَ، ويقال: أغربُ عنِّي أي: تباعد، المغربُ المبعد في البلاد، والاغتراب افتعال من الغُربة، واغترب الرّجلُ: نكح في الغرائب وتزوج إلى غير أقاربه، ومن مشتقات كلمة الغربة "الغَرْبُ" التي تعني التنحي عن الناس، وقد غرب عنا يغرب غرْباً، وغرّب وأغرب، وغرّب وأغربه أي: نحّاه)([1])، ويقال: (غرب عن وطنه غرابة وغربة أي: ابتعد عنه، وتغرّب نزح عن الوطن، غرّب في الأرض أي: أمعن فيها وسافر سفراً بعيداً، وأغرب كلامه أتى بالغريب البعيد عن الفهم، ويقال: رمى فأغرب أي: أبعد المرمى، ويقال: هل من مغربة خبر: هل من خبر جديد جاء من بلد بعيد، وجاءت الغربة بمعنى الاغتراب والتغرُّب: تقول اغترب وتغرّب أي: نزح عن الوطن) ([2]).

والغربة تعني النوى والبعد([3]).

ومن المشتقات أيضاً كلمة "التغريب" والتي تعني النفي عن البلد ([4])

ورجل غريب ليس من القوم ولا من البلد؛ أي لم يكن من أبنائه، وغير مرتبط بهم بقرابة أو آصرة فكرية أو ثقافية تشدُّه إليهم، والغُراب جنس من الطير، العرب يتشاءمون به إذا نعق قبل الرحيل فيسمونه "غُراب البين"، ويضرب به المثل في السواد والبكور والحذر والبعد، يقولون: " بكرْ بكور الغراب" وتشير تسمية الغراب

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور، باب الباء، فصل الغين، دار الجيل بيروت- لبنان 1988م، ص:966-967.

[2]- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون "مادة غرب"، ط2 القاهرة، مصر 1972م، ص: 647-648.

[3]- المحيط في اللغة، الصاحب إسماعيل بن عباد، ط1، عالم الكتب، بيروت 1994م، ج5، ص: 72.

[4]- مختار الصحاح، الرازي، مادة غرب ط1، مكتبة لبنان 1989م، ص: 414.

إلى صفات اللغة الاشتقاقية وقدرتها على الربط بين الاسم والاعتقادات الشعبية، مما يؤكد أن أي لغة في اشتقاقها وتحليلها تكون ذات مضمون ثقافي اجتماعي يعكس تفكير الجماعة وثقافتها ومعالم حضارتها([1])

ومما سبق تلاحظ الدارسة أن الغربة والاغتراب في معانيهما الاشتقاقية لهما معنى مشترك في اللغة، وهو الذهاب والبعد والتنحي والنفي والنزوح؛ مما يعني أن الغربة تعني الاغتراب، وكما للغربة دلالات معجمية تعني الانتقال المكاني، كذلك لها دلالات زمانية حيث يكون الحنين إلى زمن ماضي تتجسد فيه الأحلام والقيم الإنسانية.

**ب/ الاغتراب اصطلاحـا:**

مصطلح الاغتراب من أكثر المصطلحات تداولاً في الكتابات التي تعالج مشكلات المجتمع، وفي نظر المفكرين والكُتَّاب فهو من أهم السمات المميزة للعصر الحديث، وعلى الرغم من ذلك يرى البعض أن مفهوم الاغتراب لا زال يعاني الكثير من الغموض، وحيثما تطرح تعريفات واضحة لاصطلاح الاغتراب، فإنها غالباً ما تكون مختلفة، وتفتقد إلى الوضوح فيما يتعلق بعلاقة كل تعريف بالآخر ([2])؛ لذلك تضاربت الأقوال والاتجاهات في تحديده، نظراً لصعوبة تعريف المفاهيم الأساسية تعريفاً دقيقاً. ومن هنا عدّوا مصطلح الاغتراب مصطلحاً يحتمل أكثر من معنى، وصعب التحديد لتعدد مفاهيمه وغموض بعضها "وإنّ كلمة الاغتراب" قد انتقلت إلى مجالات متنوعة وعبر مراحل تاريخية متعددة، أصبحت لها مفاهيم ودلالات كثيرة([3])

[1]- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ج2، ص: 647.
[2]- الاغتراب، رتشارد شاخت، ترجمة كامل يوسف حسين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان190م، ص:19.
[3]- الاغتراب في الفن، عبد الكريم هلال خالد، ط1، جامعة قاربوس، بنغازي – ليبيا، 1988م، ص: 144.

الاغتراب عند الفلاسفة يختلف مفهومه باختلاف الفلسفات والمذاهب، وكلمة "اغتراب" تعني عند اليونانيين "نقل الملكية من شخص إلى آخر إكراهاً" ([1]).

ويرى الوجوديون "أن الاغتراب هو البعد عن الوجود العميق للإنسان، والإنسان هو الحرية" ([2])، ومهما حاول الإنسان من خلال الحرية، ومن خلال إحساسه بالزمان، ومن خلال علاقاته الاجتماعية، ومن خلال عمله، أن يتجاوز وأن يشفى من الاغتراب، فإنه سيموت مغترباً؛ لأن الحياة نفسها اغتراب([3]).

والاغتراب في الحقل المسيحي يعني اغتراب الإنسان عن جوهره، حين طُرد من الجنة ونزل إلى الأرض غريباً، وذلك عقوبة على خطئه ([4]). ويرى فيورباخ أن الاغتراب أساساً هو اغتراب ديني، وهو أساس كل اغتراب فلسفي أو اجتماعي، نفسي أو بدني ([5]).

وبهذا يعد مصطلح الاغتراب فلسفة العصور الحديثة ذا دلالة على التنصل من الدين نفسه.

الاغتراب في الإسلام مراتب: اغتراب بين الناس لقوله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً –كما بدأ– فطوبى للغرباء" ([6]). ثم اغتراب المؤمنين بين المسلمين، فالمؤمن الحق مغترب بين المسلمين؛ لأن الإسلام درجة والإيمان درجة، ثم هناك أعلى درجات الاغتراب وأشدها وحشة وهو اغتراب العلماء بين المؤمنين، فالعلماء أشد الناس غربة، فالمعتزلة والخوارج وفلاسفة المسلمين بين

---

[1]- المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، علي وطفة، مجلة عالم الفكر، ع2، الكويت 1998م، مج27، ص:1246.
[2]- الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، فاطمة طحطح، مكتبة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، 1993م، ص: 34.
[3]- ندوة حول مشكلة الاغتراب، حسن حنفي، مجلة عالم الفكر، ع1، الكويت 1979م، مج10، ص: 136.
[4]- في المصطلح الثقافي والتغريب، شلتا عبود، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع33، ص: 51.
[5]- الاغتراب الديني عند فيورباخ، حسن حنفي ، مجلة عالم الفكر، ع1، الكويت 1979ن ، مج 1، ص: 44.
[6]- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط1، دار المعنى، المملكة العربية السعودية 1998م، ص: 88.

الناس غرباء، فقد تعرضوا للسجن والقتل ([1]). ولعل أقصى صور الغربة هي الغربة داخل الوطن بسبب الظلم والاضطهاد والخوف أو الفقر والحرمان، يقول الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): "الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة" والغربة عنده فقد الأهل والأحبة" إذ يقول: "فقد الأحبة غربة" ([2]).

وعلى ذلك يكون الاغتراب بالمعنى الإسلامي اغتراباً عن الحياة الاجتماعية وعن النظام الاجتماعي غير العادل، فالغرباء قاوموا سُلطة الحكام وسلطة النفس بترويضها على الطاعات واعتزالهم عن الناس، فحل النظام الروحي الداخلي الذي يشيع في النفس الشعور بالأمن والأمان محل النظام السياسي الخارجي الذي أدخل الرعب والخوف في قلوب المسلمين ([3]).

وكلمة اغتراب في المجالين الاجتماعي والنفسي تعني فقد السند، لأن الغريب ضعيف لا سند له ولا قرابة ينتمي إليها أو ملجأ يحتمي به، والمجتمع يحدد الغريب بأنه من لم يكن من أبنائه، وقد يكون الإنسان بين أهله وأبناء مجتمعه، ولكنه يشعر بأنه غريب بسبب العوامل النفسية الداخلية، والتي هي انعكاس لما في المجتمع أولاً، ولما في جسمه من النواحي البيولوجية والفكرية المعقدة ثانياً ([4]) والغربة إحساس بعدم الانسجام مع الأنا الفردي والجمعي ([5]).

وعلى المستوى السياسي والاجتماعي فالاغتراب اكتسب دلالته من سيطرة الدولة ومؤسساتها، وفقدان الإنسان لحريته أمام سطوة الجماعة في العصر الحديث،

[1]- ندوة حول مشكلة الاغتراب، فتح الله خليف، مجلة عالم الفكر، ع1، الكويت 1979م، مج10، ص: 115.
[2]- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، ط1، دار البلاغة، بيروت، القاهرة 1989م، ص:674-675.
[3]- الاغتراب في الإسلام، فتح الله خليف، مجلة عالم الفكر، ع1، الكويت 1979م، مج10، ص: 88.
[4]- المرجع نفسه، ص: 19.
[5] - الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، فاطمة طحطح، المقدمة، ص: 7.

وأن الدولة ومؤسساتها تُفقد الإنسان ذاته وحريته مقابل ما تمنحه له من أمن وتوفير لوسائل العيش ([1]).

أمّا من سيطر عليهم الفكر الواحد أحسوا بالدونية، فالاغتراب عندهم هو الإحساس بالعجز أمام تفوق الآخر، والاعتزال، وضياع الذات، وعدم الانتماء، والازدواجية في الفكر والسلوك ([2]).

أما الباحثون المعاصرون فترى مها عبدالله الزهراني أن الاغتراب: نقيض الاقتراب وهو الابتعاد عن الأهل والديار والوطن، والإحساس بالوحدة، وشعور بانقطاع الإنسان عن الأشياء والأشخاص الذين يحيطون به، وشعور بالسأم والوحشة بين الأهل وأبناء المجتمع، وعدم الشعور بالتعاطف أو البهجة شعوراً صادقاً، وقد يكون الاغتراب زمانياً أو مكانياً أو ذاتياً أو وجدانياً ([3]).

وترى الدارسة أن الاغتراب هو الانفصال وعدم الانتماء، ووعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به والمحيطة له، وبصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق والخوف والحزن.

وذكرت مها عبدالله الزهراني أن بعض الباحثين –لم تشر إليهم– يفرِّق بين الغربة والاغتراب فيرون أن "الغربة تعني البعد عن الوطن والأهل، على حين يتسع معنى الاغتراب حتى يشمل البعد عن العالم بل البعد عن الذات" ([4])

[1]- في المصطلح الثقافي والتفريب، شلتاغ عبود، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع33،ص: 51.
[2]- مؤسسة أعمال الموسوعة العربية العالمية، ط2، المملكة العربية السعودية – الرياض 1999م، ص: 46.
[3]- الاغتراب والحنين بين شعر المشارقة والأندلسيين في القرن السادس الهجري، مها الزهراوي، ط2، نادي المنطقة الشرقية- الدمام، المملكة العربية السعودية 2004م، ص: 16.
[4]- المرجع نفسه، ص: 17.

وتتفق الدارسة مع مها الزهراني في أن المصطلحين يستعملان في الدراسات الأدبية بنسبة واحدة، وأن الكلمتين مترادفتان في المعنى، إلا أن الاغتراب أكثر شيوعاً في كتب الفلاسفة والمفكرين، والاغتراب والغربة يوجدان بمفهومهما الذي اصطلح عليهما لدى الشعراء.

وبما أن الاغتراب ظاهرة إنسانية عامة توجد في كل المجتمعات وفي كل الثقافات وفي مجالات متعددة وبمعانٍ مختلفة، فإن المفهوم الشامل للاغتراب يصعب تحديده لتعدد مفاهيمه واختلاف مجالاته.

**أنــواع الاغتــــراب:**

ينقسم الاغتراب عند الفلاسفة إلى قسمين هما:

- **اغتراب شامــل:**

وهو شعور الفرد بأنه غريب في كل شيء، فهو منعزل عن كل الانتماءات .. ، وهذا غالباً ما يكون ناتجاً عن الاغتراب الفكري الكامل.

- **اغتـــراب جـــزئي:**

وهو شعور الفرد بأنه لا ينتمي إلى أي جهة اجتماعية أو فكرية معينة، فقد يشعر الإنسان بالاغتراب السياسي أو الاغتراب العرقي، ويمكن أن يضاف إلى هذا النوع من الاغتراب، غربة الأجيال، حيث يشعر الجيل القديم بأنه غير مرغوب فيه، وقد يشعر الجيل الجديد بالغربة نفسها عندما يجد نفسه مهمشاً من قبل الجيل القديم. وكذلك غربة المعتدل وسط المتطرفين، وغربة الحكيم وسط الطائشين، وغربة الفقر؛ لأن الفقير يشعر بالغربة إذا لم يجد معيناً في مجتمعه[1].

[1]- الاغتراب والحنين بين شعر المشارقة والأندلسيين في القرن السادس الهجري، مها الزهراوي، ط2، نادي المنطقة الشرقية- الدمام، المملكة العربية السعودية 2004م، ، ص: 23.

**أنــواع الغــربة في الإســـلام**

**النـــــوع الأول**

غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين الخلق، ليس في هذه الغربة وحشة، بل هم أنس العباد إذا استوحش الناس، مثلهم في ذلك مثل موسى (عليه السلام) عندما خرج من مصر هارباً من فرعون وقومه، ناجى ربه قائلاً: "يا رب وحيد مريض غريب" فناداه ربه قائلاً: "يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس، والمريض من ليس له مثلي طبيب، والغريب من ليس بينه وبيني معاملة"، وهذه غربة محمودة.

**النـــوع الثاني**

غربة أهل الباطل وأهل الفجور بين أهل الحق، وهم أهل وحشة على كثرة مؤنسهم وهي غربة مذمومة.

**النـــوع الثـــالث**

غربة مشتركة لا تحمد ولا تذم، وهي الغربة عن الوطن فإن الناس من الأصل في هذه الدار غرباء، إذ ليس لهم بدار مقام، ولا هي الدار التي خُلِقُوا لها، وبناءً على هذا الفهم فالإنسان غريب حتى في وطنه([1]).

**أنواع الغربة في الشعر العربي**

كثيرة منها:

غربة السجن، غربة النفي، غربة الخلع عند الشعراء الصعاليك، غربة الجند الفاتح، والغربة في غير الأهل عند المرأة، وغربة اللون([2])، وقد تكون الغربة جسدية وغربة نفسية، وفكرية([3]).

[1]- الحنين والغربة في الشعر العربي، يحيى الجبوري، ط1، دار مجدلاوي، الأردن – عمان 2008م، ص: 40 وما بعدها.
[2]- المرجع نفسه، ص 28.
[3]- انظر: الاغتراب والحنين بين شعر المشارقة والأندلسيين، مها الزهراني، ص: 43.

ومما تقدم تخلص الدارسة إلى أن أنواع الاغتراب قد تتعدد تبعاً لتطور ظاهرة الاغتراب من البساطة إلى التعقيد، بالإضافة إلى تعدد المجالات المختلفة التي تناولت ظاهرة الاغتراب، ويلاحظ الباحث أيضاً أن تصنيف أنواع الاغتراب لم يقتصر على الجانب الفلسفي والاجتماعي، والنفسي والسياسي، والديني فحسب؛ بل نجدها في مجال الدراسات الأدبية التي عنت بدراسة ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي.

## المبحث الثاني

## مفهوم الحنين:

### أ/ الحنين لغة:

استخدم العرب كلمة الحنين مرتبطة بالناقة؛ يعني صوتها إذا اشتاقت ونزاعها إلى ولدها من غير صوت كما أورد الجوهري في كتاب الصحاح (1).

وأورد بن منظور في باب حَنَّ حنت الإبل تعني نزعت إلى أوطانها، وقيل حنينها نزاعها بصوت وبغير صوت والأكثر الحنين بالصوت، حنت الناقة إلى اليفها فهذا صوت مع نزاع، وكذلك حنت إلى ولدها.

يتضح مما سبق أن صوت الناقة يسمى حنينا، ولذلك سميت الناقة الحانَّة فيقال: "ماله حانة ولا آنة"، يقول الزمخشري :(والحنين للناقة والأنين للشاة، يقال ماله حانة ولا آنة)[2].

ورد في مجمع الأمثال: (ماله حانة ولا آنة أي: ناقة ولا شاة)[3].

ومن معاني الحنين: الشوق وتلهف النفس كما أورد الجوهري حيث يقول: (الحنين الشوق وتوقان النفس، تقول : (حَنَّ إليه يَحِنُّ حنينا فهو حان)4 وذكر بن دريد أن حن يحن حنينا إذا اشتاق.

---

[1] كتاب الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ،بيروت ،مادو حنن ،ج5 ص2104.
[2] كتاب أسس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار صادر ، بيروت ، ص145.
[3] مجمع الامثال لآبي الفضل احمد بن محمد احمد بن إبراهيم الميداني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، طبعة ثانية 1987م ، ج3 ، ص255.
[4] الصحاح ، الجوهري ، ج 5 ، ص 2104.

وقد يكون الحنين للوطن، الزمخشري :(حن/ يحن إلى وطنه)[1]، وقد يكون الحنين لغير العاقل، ذكر ابن منظور أن :( حن إليه أي نزع إليه)، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى إلى جذع في مسجده، فلما عمل له المنبر صعد إليه فحن الجذع إليه أي نزع واشتاق )[2].

وأورد الفيروز آبادي أن الحنين :(هو الصوت في حال الشوق من شدة البكاء أو الطرب من حزن أو الفرح)[3]، ذلك قولهم : اِستَحَّنَه الشوق أي استطربه[4]، وعود حنان أي: عود مطرب يَحِنّ[5]. وزاد ابن منظور أن الَمُستَحِنّ الذي استحنه الشوق إلى وطنه مثل قول يزيد بن النعمان الأشعري:

لَقَدْ تَرَكْتَ فُؤَادَكَ مُسْتَحِنّاً

مُطُوْقَةٌ عَلَى غُصْنِ تُغَنِي[6]

ويقال : حنة الرجل امراته، قال أبو محمد الفقعسي:

ولَيْلَةِ ذَاتِ دُجّى سَرِيّتُ

ولَم يَلْهِني عَنْ سُرَاهَا لَيْتُ

ولُم تُضِرْنِي حَنَّةُ أو بَيْتُ[7]

[1] أسس البلاغة ، الزمخشري ، ص 145.
[2] لسان العرب لابن منظور ، ج 13 ، ص 129.
[3] قاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ،دار الجيل ، بيروت ، 4 ص218.
[4] أساس البلاغة، الزمخشري ، ص 145.
[5] العين للخليل بن احمد ، ج 3 ، ص29.
[6] لسان العرب ، لابن المنظور ،ج 5 ص 129.
[7] الصحاح ، للجوهري ، ج5 ص 2104.

وقال الحبيب الأعلم:

يُدَمَّى وَجْهُ حُنَّتِه إذا مَا  تَقُولُ لَهُ تَمَحَّل لِلعِيَال[1]

والحنون هي الريح لها حنين كحنين الإبل، يقول ابن فارس: الحنون ريح تحن كحنين الإبل، قال النابغة الذبياني:

غَشِيُت بِهَا مَنَازِلَ مُفْقِرَاتٍ  تُزَعْزِعُهَا مُزَعْزِعَةٌ حَنُوُن[2]

والحنون من النساء هي التي تتزوج رقة على ولدها إذا كانوا صغاراً ليقوم الزوج بأمرهم[3].

أما الحنانة فهي التي كان لها زوج فتذكره بالحنين، ذكر الأزهري: (إن رجلاً أوصى ابنه فقال: لا تتزوجن حنانة ولا منانة، الحنانة التي كان لها زوج قبله فتذكره بالتحزن والأنين والحنين إليه)[4].

والحنانة هي : القوس المصوتة التي تحن عند الإنباض، قال الشاعر:

فِي مِنْكَبِي حَنَّانَةٌ عُوْدُ نَبْعَةٍ

تَخَيّرَهَا لِي سُوقَ مَكَّةَ بَائِعُ[5]

ويقال للطريق: الحنَّان والنهام أي للإبل فيه حنين ونهيم قال الشماخ:

وخمس حنان أي تحن فيه الإبل من الجهد، قال الشاعر:

واستَقْبِلُوا لَيْلَةَ خِمْسٍ حنَّان

يَمِيلُ سَارِيهَا كَمَيْلِ السّكْرَانْ [6]

---

[1] أساس البلاغة ، الزمخشري ، ص 145.

[2] مجمل اللغة ، أبي الحسن احمد بن فارس ن تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، باب حن ، ج1، ص219.

[3] تهذيب اللغة ،للأزهري ، ج3 ، ص 445.

[4] المرجع نفسه

[5] مجمل اللغة ، بن فارس ، ج1 ، ص 219.

[6] مجمل اللغة ، الزمخشري ، ص 145.

وقد تعني كلمة الحنين الإشفاق، جاء في التكملة:

(حنحن إذا أشفق)[1].

ومن ذلك الحنة بالكر وتعنى رقة القلب [2].

قال ابن فارس: وقيل في قول الشاعر:

ولابُدّ مِنْ قَتْلِي فَعَلّكَ مِنْهُمُ

وإلاَ فَجْرحٌ لاَ يَحْنُّ عَلَى عَظْمِ

أي: لا (يشفق على عظم)[3].

وقال الزمخشري : استحّنه: جرحه جرحاً لا يحن على عظم [4]. وأورد قدامه بن جعفر أن من ذلك قولهم: حنوت عليه أي: حننت وحدبت لقيته بتحنن أي: بتعطف فيقال: ما تلحقني فيه رقة ولا تظأرني عليه حانية ولا تأصرني رحمة، والظائرة هي الحانة المشفقة.

وقد جاء في مجمع الأمثال قولهم: لا أفعل ذلك حتى يحن الضب في أثر الإبل الصادرة، وهذا لا يكون لأن الضب لا يرد ولا حاجة به إلى الماء .[5]

وقد يربط أصحاب المعاجم بين الحنين والحنان لتقارب المعنيين، يقول الخليل: الحنان: الرحمة والفعل التحنن، قال تعالى: "وحنانا من لدنا" أي: ورحمة من عندنا[6].

وقال الجوهري: (الحنان الرحمة، يقال: حن عليه يحن حناناً، ومنه قوله تعالى: "وحنانا من لدنا" ، وذكر عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية أنه قال: ما أدري ما الحنان. والحنَّان بالتشديد: ذو الرحمة)[7].

---

[1] التكلمة والذيل والصلة للصنعاني ، ج6 ، ص 219.
[2] لسان العرب ، لابن منظور ، ج 13 ، ص129.
[3] مجمل اللغة بن فارس ، ج1 ، ص 219.
[4] أساس البلاغة ، الزمخشري ، ص145
[5] مجمع الأمثال للميداني ، ج 3 ، ص 175.
[6] كتاب العين للخليل ، ج3 ، ص175
[7] الصحاح للجوهري ، ج5 ، ص 2104

أما قولهم حنانيك فمعناه: (تحنن علي حناناً بعد حنان، وأذكرك حنان بعد حنان، (ورحمة بعد رحمة)[1] ، (وحنانيك يا فلان افعل كذا ولا تفعل كذا تذكره الرحمة والبر)[2].

وزاد ابن فارس على ذلك قول طرفة بن العبد:

أَبْاَ مُنْذِرُ أَفْنَيْتَ فَأَسْتَبِق بَعّضْاً

حَنَانِيكَ بَعْضُ الشّرِ أَهْوَنَ مِنْ بَعّضِ

وكانت السيدة مريم تسمى "حنة"[3]

غير أن الفرق بين الحنان والحنين، أنك تقول: (حنا عليه حناناً: أي ترحم عليه)[4]. ( وحنَّ إليه حنيناً فهو حان)[5] أي مشتاق تائق النفس.

يتضح مما سبق، أن معنى الحنين يدور حول اشتياق النفس وتلهفها لرؤية محبوب، أو أرض أو غير ذلك مما تقربه النفس، ولقد توسع الشعراء في تعبيرهم عن الحنين في أشعارهم ، كما سيأتي.

**ب/ الحنين اصطلاحا:**

هو انتقال بالذاكرة من زمان ومكان راهنين إلى زمان ومكان سالفين، والحنين فيض في الوجدان الذاتي يقارب ما سلف بما يحدث، فيتبرم من راهنية الراهن مفضلاً عليها ماضوية الماضي[6]، والحنين رحلة في الزمان، وعودة إلى الوراء لمعايشة الماضي شعراً، واسترجاعه، واستحضاره على مستوى المكان والأهل والوقائع[7]، والحنين عاطفة جياشة عليها النفس، فهي تحن لكل ما تألفه وتحبه ويلذ لها ويسعدها [8].

---

[1] تهذيب اللغة ، للازهرى ، ج3 ، ص22

[2] كتاب العين ، للخليل بن احمد ، ج3 ،ص 22.

[3] مجمل اللغة ، لابن فارس ، ج1 ،ص 219.

[4] القاموس المحيط للفيروز آبادي ، ج4 ، ص 218.

[5] أساس البلاغة ، للزمخشري ، ص 145.

[6] الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، (المقدمة ) ، ص :7

[7] المرجع نفسه ، ص 35.

[8] الحنين الي الوطن في الأدب العربي حتي نهاية العصر الاموى ، العط دار القلم دمشق - سوريا 1989م ص : 18..

ويرى الباحث أن الحنين عاطفة جياشة صادقة تجاه ما افتقده الإنسان من مكان وأهل وزمان ومواقف، ويمكن أن يعبر الإنسان عن هذه العاطفة بشتى الطرق، وغير مقتصر على إنسان دون آخر، والشعراء قد جسدوا هذه العاطفة كما سنرى في المبحث التالي.

## المبحث الثـــالث

## ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي

كان للغربة والحنين وقع في نفوس العرب عبر العصور المختلفة، فمنهم من يرى في الغربة الذلة والإهانة، وقيل: "الغُرْبة كُره والقِلَّة ذِلَّة" ويقول أحد الشعراء واصفاً الغربة بالذلة:

لا تَرْغَبُوا إِخْوَتي في غُربةٍ أبَداً *** إنَّ الغَريبَ ذَليلٌ حَيْثُمَا كانا([1])

وقالت الأعراب: "إذا كُنْتَ في غيرِ أهلِك فلا تنس نصيبك من الذُّلِ".

**قال الشاعر:**

وَحَسْبُ الفتَى ذُلّاً وإن أدرك الغنى *** ونال ثراءً أنْ يُقَال: غريبُ([2])

ويبيِّن الإمام الشافعي حالة الغريب في غير وطنه وأهله، يقول:

إنَّ الغريبَ لَهُ مَخَافَةُ سارقٍ *** وخُضُوعُ مَذْيُونٍ وذِلَّةُ مُوثَقِ

فإذَا تَذكّرَ أَهْلَهُ وبلادَهُ *** ففؤادُه كجناح طيْرٍ خافقِ

وعلى الرغم من أن الإمام الشافعي قد بيّن حالة الغريب وما يلاقيه من ذُلٍّ وخضوع، إلا أنّه يتشدد في الدعوة إلى الاغتراب عن الأوطان فيقول:

ارْحَلْ بنفسك من أرْضٍ تُضَامُ بها *** من رَاحَة صَدَعَ الأوْطَانَ فَاغْتَرِبِ

سافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عَمَّنْ تُفَارِقَهُم *** وَانْصَبْ فإنَّ لذيذَ العيش في النَّصَبِ

---

[1]- كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط1 مطبعة البابي الحلبي وأولاده – القاهرة- مصر 1967م – ج6ص: 13.

[2]- الحنين إلى الأوطان، ابن المذربان، تحقيق جليل عطية، ط1، عالم الكتب، بيروت-لبنان 1987م، ص:66،67.

ويؤكد الشافعي تشدده في الدعوة إلى الاغتراب، ويفضل اغتراب المرء عن الأرض التي يظلم فيها، ويقول في ذلك:

إرْحَلْ بنفسك من أرْضٍ تُضَامُ بها *** ولا تكن من فراق الأهل في حُرَق

فالعَنْبَرُ الخَامُ رَوْثٌ في مَواطِنِهِ *** وفي التَّغرُّبِ مَحْمُول على العُنُقِ([1])

ونجد في القرآن الكريم كثير من الآيات التي تحمل الناس على الاغتراب في قوله تعالى: "قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا."([2]) فالعربي بطبعه نزَّاع إلى منزله وإلى أهله ومجتمعه، مما جعله متميزاً بحنينه واشتياقه وعاطفته، بل وقد انعكس ذلك في إبداعه نثراً وشعراً، فالكريم عند العرب "يحنُّ إلى جنابه، كما يحنُّ الأسد إلى غابه" وقيل من إمارات العاقل بِرَّه لإخوانه، وحنينه إلى أوطانه([3]).

**قال أحد الشعراء:**

ألا يا حَبَّذا وَطَني وأهْلي *** وصحبي حين يُذَّكر الصِّحَابُ

وما عَسَلُ بِبَارِدِ مَاءِ مُزْن *** على ظَمَأٍ لِشارِبِه يُشَابُ

بأشْهَى مِنْ لِقَائِكُم إِلَيْنَا *** فكيْفَ لَنَا بِهِ ومَتَى الإيَابُ([4])

وبذلك نستطيع أن نقول إن الإنسان العربي في الجاهلية مطبوع على الرحلة والتنقُّل، وقد عاش حياة الاغتراب والترحال بحثاً عن الماء والكلأ، لأن الحياة البدوية حياة ترحال وعدم استقرار، وقد ذكر ابن قتيبة: "إن مُقَصِّد القصيد، إنما ابتداء فيها

[1]- الديوان، الإمام الشافعي، ط15، الفكر العربي، بيروت- لبنان 2007م، ص: 74،71.
[2]- سورة النساء، الآية: 97.
[3]- رسائل الجاحظ، ص: 8.
[4]- المرجع السابق، ص:28،27.

بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكى، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها ...." ويرى الباحث أن الشاعر العربي شكى شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق والحنين للأهل والأحباب، وإن كثيراً من شعراء العرب قد بدأت قصائدهم بالوقوف على الأطلال مما يدل على الحنين إلى الراحلين عن هذه الديار.

وإذا تتبعنا أشعار الجاهليين، نجد أن معظمها دار حول محور الحنين إلى الأطلال والمنازل الدارسة، مما يوحي بإحساسهم العميق بفجيعة الغربة.

فامرؤ القيس يربط الأطلال بموقف البين ولحظة الرحيل، فيحكي عن وقع الاغتراب على نفسه شوقاً، وحنيناً وحزناً، فيقول:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *** بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

**إلى قوله:**

كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا *** لَدَى سُمراتِ الحيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وقوفاً بها صَحْبي عَلَيَّ مَطِيَّهُمُ *** يقولون لا تهلِك أسًى وتَحَمَّلِ

فَفَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً *** عَلَى النَّحْرِ حتَّى بَلَّ دَمْعي مِحْمَلي([1])

وقد عاش امرؤ القيس تجربة الغربة منذ طرده أبوه حين تغزل بابنة عمِّه، وزادت غربته مرارة حين قتل أبوه وتخلت قبيلته عن حمايته من القتل، وانطلق غريباً وحيداً باحثاً عن معين يساعده في ثأر أبيه، واسترداد ملكه المسلوب، يقول وهو في طريقه إلى بلاد الروم:

[1]- ديوان امرؤ القيس، ط2، دار المعرفة، بيروت – لبنان 2004م، ص: 21-25.

تَذَكَّرْتُ أهْلي الصَّالحينَ وَقَدْ أَتَتْ *** عَلَى حَمْلِي حُوصُ الرِّكَابِ وَأَوْجَرَا([1])

وفي عودته من بلاد الروم رأى قبراً لامرأة من بنات الروم على سفح جبل عسيب، فسأل عنها فأخبر بقصتها، فقال يذكر غربته وإياها:

أَجَارَتَنا إنَّ الخُطُوبَ تَنَوبُ *** وإنِّي مُقِيمٌ ما أَقَامَ عَسِيبُ

أَجَارَتَنَا إنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا *** وَكُلُ غَرِيْبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ([2])

وقد برزت في العصر الجاهلي فئة الصعاليك الذين فقدوا انتماؤهم إلى قبائلهم بعد أن خلعتهم، بسبب خروجهم على أعراف القبيلة وتقاليدها، وكثير منهم خُلع وطرد بسبب جناياتهم وخروجهم على النظام القبلي، فكانوا أشدَّ إحساساً بالغربة الاجتماعية والنفسية، والحنين الدافق إلى حياة الجماعة، ولا شك أن الشعور بالوحدة كان عميق الجذور في نفوس العرب.

ويصف تأبط شراً حياة الصعاليك وما يقاسوه من تشرد وغربة ومغامرة دائمة في الصحارى بين الوحوش، حيث الجوع والخوف وتوقُّع الموت في كل حين، يقول:

قليل ادَّخار الزَّاد إلا بقلَّة *** فقد نَشَرَ الشُّرْ سُوفُ والتصق المعا

يبيت بمغني الوحش حتَّى أَلِفْنَهُ *** وَيُصْبحُ لا يحمي لها الدَّهْر مَرْتَعَا([3])

وكذلك الشنفرى يجد في الوحوش عوضاً عن الأهل، يأمن بينها من شرور أعدائه، وعروة بن الورد يحث أصحابه على المغامرة وطلب الرزق بالسيف، أو الموت الكريم، فهو لا يقبل الذُّل ولا يقبل أن يكون عالة على أحد من الناس، وقد

[1]- ديوان امرؤ القيس، ص: 95.
[2]- المرجع نفسه، ص: 83.
[3]- ديوان تأبط شراً،ط1، دار صادر، بيروت – لبنان 1996م، ص: 31-40.

صور هؤلاء في أشعارهم التشرد والضياع، والتمرد والخروج على مجتمعاتهم وبذلك فقدوا الطمأنينة جراء الطرد والاغتراب، يقول عبيد بن أيوب العنبري:

وَحَالفْتُ الوُحُوشَ وَحَالَفتْني *** بِقُرْبِ عهودهِنَّ وبالبعاد([1])

أما في صدر الإسلام فنجد أن المسلمين بعد أن هاجروا من مكة كانوا يحنُّون إليها ويتمنون العودة إليها، فهي الأرض والوطن، وفيها بيت الله الحرام، قال رسول الله صل الله عليه وسلم وهو مهاجر من مكة: "والله إنك لخير أرض الله، وأحبَّ أرض الله إلى الله، ولولا أنِّي أُخْرِجْتُ منك ما خرجتُ"([2])، وكان ابن مكتوم عمرو بن قيس يأخذ بزمام ناقة رسول الله وهو يطوف ويتغنَّى بحب مكة:

يا حَبَّذا مكة مِنْ وَداي *** أَرْضٌ بِها أهْلي وَعُوَّادي

أرْضٌ بها تَرْسخُ أوْتَادِي *** أرْضٌ بها أمْشي بلا هَدي

وبلال بن رباح رضي الله عنه كان إذا انقشعت عنه الحمى يتغنَّى بأمانيه في المبيت في مواضع بمكة ويشرب من مياه مجنَّة، ويرى المواضع التي يحن إليها فيردد قائلاً:

أَلا لَيْتَ شِعْري هَلْ أَبيتَنَّ لَيْلةً *** بِفَجٍّ وَعِنْدي إذخرٌ وجَليلُ

وَهَلْ أرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَّةٍ *** وَهَلْ يَبْدُوَنْ لي مَثَامَةُ وَطُفَيل([3])

ولا شك أن في النزوح عن الديار والأهل مشقة وعناء، وجهلاً وبلاءً لذلك قرن "جل وشأنه" النزوح عن الوطن بالقتل، قال الله تعالى: "وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ .....([4])

---

[1]- كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون،ط، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة- مصر 1967م، ج6، ص: 159.

[2]- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان 2000م، ص: 259.

[3]- معجم البلدان، ياقوت الحموي،ط، دار صادر، بيروت – لبنان 1977م، مج5، ص: 183.

[4]- سورة النساء الآية 66.

وجاء في سورة آل عمران قوله تعالى: "فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ[1] هذا خروج في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق فهذا يكافأ عليه صاحبه.

أما في العصر الأموي، فقد تطور مفهوم الغربة إلى غربة الموت ووحشة القبر والوحدة، وهي أقصى صور الاغتراب الموحشة؛ لانعدام الأنيس واستحالة العودة، والشاعر أبو طماح القيني المخضرم الذي كان من طائفة الصعاليك صور هذا النوع من الغربة قائلاً:

ألا عَلَّلاني قَبْلَ نَوْحِ النَّوَائِح *** وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ بَيْنَ الجَوانِحِ
وَبَعْدَ غَدٍ يا لهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ *** إذا رَاحَ أَصْحَابي وَلَسْتُ بِرَائِحِ
إذا رَاحَ أَصْحابي تَفيضُ عُيُونُهم *** وَغودِرْتُ في لَحْدٍ عَليَّ صَفَائِحي
يَقُولونَ: هَلْ أَصْلَحْتُم لِأَخِيكُم *** وَمَا القَبْرُ في الأَرْضِ الفَضَاءِ بِصَالِحِ[2]

ويتضاعف إحساسهم بغربة الوحدة وغربة الأهل والوطن حين يتراءى لهم هاجس الموت في أرض المعركة، فبكوا أنفسهم وأهليهم متمنين رؤيتهم في آخر لحظة لهم من الحياة، فصور مالك بن الريب التميمي غربته وحنينه **قائلاً:**

أَلَا لَيْتَ شِعْري هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً *** بِجَنْبِ الْقَطَا أُزْجِي القَلَاصَ النَّواجِيا
فَلَيْتَ الغَضَا لَمْ يَقْطَعِ الرَّكْبُ عَرْضَهُ *** وَلَيْتَ الغَضَا مَاشي الرِّكَابَ لَيالْيا
لَقَدْ كَانَ في أَهْلِ الْغَضَا لَوْ دَنَا الْغَضَا *** مُزارٌ ... وَلَكِنَّ الْغَضَا لَيْسَ دَانِيَا

ويعز عليه أن يموت غريباً، فلا يبكي عليه أحد، ويتحسر أن يُدفن في الصحراء وحيداً، لا يحزن عليه غير فرسه وسلاحه، يقول في ذلك:

تَذَكَّرْتُ من يبكي عَلَيَّ فلم أجِدْ *** سوى السَّيْف والرُّمح الرُّديني باكيا

[1]- سورة آل عمران الآية: 195.
[2]- الحماسة البصرية، البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، "، حيدر أباد – الهند 1964م، ج1، ص: 28.

أَقُولُ لأَصْحَابي ارْفَعُوني فَإِنَّهُ *** يَقرُّ بعيني أن سُهَيل بَدَا ليا

فَيا صَاحِبِيْ رَحْلي دَنَا الْموْتُ فَأَنْزلا *** بِرَابيةٍ إِنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيا

غَدَاةَ غدٍ يَا لَهْفَ نَفْسي على غَدِ *** إذا أدْلَجُوا عَنِّي وأَصْبَحْتُ ثاويا

بَعِيْدٌ غَرِيْبُ الدَّارِ ثَاوٍ بِقَفْرَةٍ *** يَدُ الدَّهْرِ مَعْرُوفَاً بأن لا تدانيا([1])

وبعد أن امتدت الفتوحات الإسلامية إلى أرجاء الأرض لنشر الدين، وخروج المسلمين إلى الجهاد تاركين أهليهم وأوطانهم، ظهرت غربة الجند الفاتح وتبلورت في أنفسهم مشاعر الشوق والحنين إلى الأهل والوطن، ويزداد الشعور بالغربة سوءاً وتذمراً كلَّما بقي الجند زمناً طويلاً، وانقلب النصر إلى هزائم، وعمَّ القحط والجوع، يقول أعشى همدان الذي كان بكابل:

أَسَمِعْتَ بالجيش الذين تفرَّقُوا *** وَأَصَابَهُم رَيْبُ الزَّمَانِ الأَعْوَج

حُبِسُوا بِكَابُلَ يَأكُلُونَ جِيَادَهُم *** بِأَضرَّ مَنْزِلَةٍ وَشَرَّ مُعَرَّج

لَمْ يَلْقَ جَيْشٌ في البِلَادِ كَمَا لَقُوا*** فَمِثْلَهِمِ قُلْ للنَّوائِح تَنْشِج([2])

ولم تكن الفتوحات الإسلامية وحدها الباحث على الاغتراب، بل إن انتقال مركز الدولة الإسلامية إلى العراق وتوسعها الذي رافق الفتوحات، قد اتاح لعدد من الناس الانتقال إلى بلدان، ولم ينسهم ذلك أهليهم وأوطانهم وأيامهم التي قضوها فيها، ولعل أجمل ما ذكر في الوقوف على أطلال الدولة الإسلامية في المدينة المنورة هو ما قاله الشريف الرضي في حنينه إلى آل البيت:

[1]- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي، ط، دار صادر، بيروت – لبنان (د،ت)، مج1، ص:318-319.
[2]- الديوان، الأعشى همدان، تحقيق حسن أبو ياسين، ط، دار العلوم، الرياض – المملكة العربية السعودية 1983م، ص: 93.

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهُمُ *** وَطُلُولُهَا بِيدِ البِلَى نَهبُ

فَوقفْتُ حَتَّى ضَجَّ من نصبٍ *** نَضْوِي وَلَحَّ بِعَذْلي الرَّكْبُ

وَتَلَفَّتَتْ عَيني فَمُذْ خَفِيتْ *** عَينِي الطُّلُولُ تَلضفَّتَ القَلْبُ([1])

والحنين عند الأمويين ليس وقفاً على الديار كما هو الحال في العصر الجاهلي، وإنما للموطن، وهذا عمرو بن الحارث الجرهمي يحنُّ إلى مكة بعد أن أخرج بنو بكر قبيلته "جرهم" منها، فتذكر أيامه الجميلة فيها، وشعر بأنه غريب عن وطنه يقول:

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إلى الصَّفَا *** أنِيسٌ وَلَمْ يَسْمِرْ بِمَكَّةَ سَمِرُ

بلى نحْنث كُنَّا أَهْلها فأبَادَنا *** صُرُوفُ اللَّيَالي والجُدُودُ العواثرُ

فَأَخْرَجَا مِنْهَا المَلِيكُ بِقُدْرَةٍ *** كَذَلِكَ بِالنَّاسِ تَجْرِي المَقَادِرُ

فَصِرْنَا أَحَادِيثَ وَكُنَّا بِغَبْطة ***كذلك عَفَّتْنا السُنُون الغَوابِرُ

وَبَدَّلَنَا كَعْبٌ بِها دَارَ غُرْبَةٍ *** بِهَا الذِّئْب يَعْوِي والعَدُوُّ المُكَشِرُ([2])

ومفهوم الغربة في العصر الأموي قد تطور فظهرت غربة النفي، وغربة الحرمان والتشرد، المتمثلة في غربة قيس بن الملوح، الذي استبدَّ به العشق والهيام، فتغرَّب في البوادي ينشد ليلاه، ويحِنُّ إلى نجد التي يذكر بها هبوب رياح الصبا وهتاف الوُرْق، والغربة في غير الأهل والديار عند الأمويين نجدها كذلك في حنين وتشوُّق ميسون بنت جندل التي طلَّقها معاوية بن أبي سفيان من فرط حنينها إلى البادية تقول:

لبيتٌ تخفقُ الأرواح فيه *** أحبُّ إليَّ مِنْ قصر مُنيف

[1]- ديوان، الشريف الرضي،ط، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان1310هـ ، ج1، ص: 145.
[2]- معجم البلدان، ياقوت الحموي، مج2، ص:225.

وبكرٌ يتبعُ الأَظْعَانَ سَقياً *** أحبُّ إليَّ مِنْ بغل زخوف

وكَلْبٌ يَنْبَحُ الطُّرَّاق دُوني *** أحبُّ إليَّ مِنْ قِطٍّ أليف

ولُبْسُ عباءةٍ وَتَقرُّ عَيْني *** أحبُّ إليَّ مِنْ لُبْسِ الشُفُوف

وأكل كسيرة من كِسر بَيتِي *** أحبُّ إليَّ مِنْ أكلِ الرَّغيف

وأصوات الرياح من كلِ فجٍ *** أحبُّ إليَّ مِنْ نقر الدفوف

وخِرقٌ من بني عمي ضعيف *** أحبُّ إليَّ مِنْ علجٍ عنيف

خشونة عيشي في البدوِ أشهى *** إلى نفسي من العيش الطَّريف

فما أبغى سِوى وَطَني بَديلاً *** وما أبْهَاهُ من وطنٍ شريف([1])

وعلى الرغم من تعقد الحياة نسبياً في العصر الأموي، وظهور الدولة بطابعها الإسلامي وسلطان الخلافة الوراثية، إلا أن عامل الاغتراب والحنين في الشعر الأموي بقيت في مجملها شبيهة بالعصر الجاهلي، مع ازدياد في أسباب الغربة، وكثر في الشعر الذي يذكر الغربة والحنين إلى الأهل الأوطان، وقليل ما نجد شاعراً يخلو ديوانه من ذكر الغربة والشكوى والبعد([2])

وبسقوط الدولة الأموية قام العباسيون بتعقب الأمويين ومطاردتهم، فلم يكن من بني أمية إلا الفرار والهرب والنجاة بأنفسهم، فقامت دولتهم في قرطبة في بلاد الأندلس حيث تظهر غربة الهارب التي تمثلت في شعر عبد الرحمن الداخل، إلا أنه

[1]- ديوان قيس بن الملوح ، ط!، دار مكتبة الهلال، بيروت – لبنان 2005م، ص: 133.
[2]- الحنين والغربة في الشعر العربي، يحيى الجبوري، ص: 53.

رغم الجاه والسلطة أحس بغربته عن أهله ووطنه، وتلك المشاعر أثارتها نخلة تبدت له من بين الرصافة فتصاعد حنينه للشرق **قائلاً:**

تَبَدَّتْ لَنَا وَسْطَ الرَّصَافَةِ نَخْلَةٌ *** تَنَاءَتْ بِأَرْضِ الغَرْبِ عَنْ بَلَدِ النَّخْلِ

فَقُلْتُ شَبِيهي في التَّغَرُّبِ والنَّوى *** وَطُولِ اكتئابي عن بَنِيِّ وعَنْ أَهْلي

نَشَأْتِ بأَرْضٍ أَنْتِ فيها غَرِيبَةٌ *** فَمِثْلُكِ في الإقصاء والمنتأى مثلي

ويتشوق عبد الرحمن الداخل إلى معاهد الشام، **يقول:**

أيها الرَّاكبُ المُيَمِّمُ أرضي *** أقر مني بعض السَّلامِ لبعضي

إنَّ جسمي كما تراه بأرض *** وفؤادي ومالكيه بأرض

قُدِّرَ البَيْنُ بَيْنَنا فافْتَرقْنَا *** وطَوى البَيْنُ عَن جُفُوني وغَمْضي

قَدْ قَضَى الدَّهْرُ بالفِراقِ عَلَيْنَا ***فَعَسى باجْتِمَاعِنَا سَوْفَ يَقْضِي([1])

وبرزت في العصر الأندلسي غربة الطرد والجلاء والضياع في شعر ابن دراج القسطلي الذي فرَّقت فتنة الخلافة شمل أسرته وأبناء وطنه فكان الحنين والحسرة على الوطن المفقود ملازمين للشاعر([2])، كذلك تظهر غربة الضياع عند الأدباء وغربة اللسان العربي بين الأعاجم في قول ابن بقي:

ستبكي قوافي الشعر ملء جفونها *** على عَرَبيّ ضاع بين الأعاجم([3])

[1]- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، ج4، ص:31.
[2]- ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق: محمود علي مكي، ط1، دار الكتب الإسلامي، دمشق – سوريا 1961م، ص: 299،298.
[3]- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان 2000م، ق2: ص: 468،467.

وفي العصر كذلك نجد غربة الدين، غربة الإسلام، الذي فرَّط فيه أتباعه في الأندلس، فلم يعد هناك من ينتصر لله ودينه، بعد أن استولى النصارى على الأندلس، وقد عبر أبو البقاء الرندي عن مجد العرب الآفل، والفجيعة الكبرى التي أصابت الإسلام في الأندلس، بعاطفة ممزوجة بالحزن والأسى([1]).

وبرزت عند المتصوفة الأندلسيين الغربة الروحية، فابن الخطيب يشتاق ويحنُّ إلى الحجاز، ويزور زوارها بروحه وخياله، ويبقي جسمه رهين القيود والأغلال، يقول:

هَلْ كُنْتَ تَعْلَمُ في هَبُوبِ الرِّيحِ *** نَفْساً يُؤَجِّجُ لاعِجِ التَّبْرِيحِ

أهْدَتْك مِنْ نَسْجِ الحِجَاز تَحِيَّةً *** فَاحَتْ لها عَرضَ الفِجاج الفليحِ

حَسْبي ولُعَاً أن أزُورَ بِفكْرتي *** زَوَّارها وَالجِّسْمُ رَهْنُ نُزُوحِ([2])

أما في العباسي يظهر نوع آخر من أنواع الغربة وهو غربة الأسر التي تتجلى في شعر أبي فراس الحمداني، الذي أسره الروم، وبقي في الأسر والغربة والجراح، وفي هذه السنوات قال شعراً يتشوق فيه إلى الأهل والأصدقاء والأم، ويعاتب سيف الدولة على إهماله افتداءه، وسميت هذه القصائد بالروميات، وهي أحسن ما قيل في التعبير عن الاغتراب والأسر والشوق والحنين، يقول أبو فراس وقد سمع نواح حمامة قرب سجنه:

أقولُ وقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبي حَمَامَةٌ *** أيَا جَارَتنا هَلْ بَاتَ حَالُكِ حالي؟

مَعَاذَ الهَوى مَا ذُقْتُ طَارِقَةَ النَّوَى *** ولا خَطَرَتْ منك الهموم ببالِ

[1]- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، ج6، ص:244،243.
[2]- المرجع السابق، ج9، ص:164،163.

أَتَحْمِلُ مَخْزُونَ الفُؤَادِ قَوَادِمٌ *** على غضن نائي المسافةَ عال؟

أَيَا جَارَتَا ما أنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا *** تَعَالي أُقَاسِمُكِ الهُمُومَ تَعَالي

أَيَضْحَكُ مأسُورٌ وتبكي طَلِيقةٌ *** وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ وَيَنْدُبُ سالِ

لَقَدْ كُنْتُ أولى مِنْكِ بالدَّمْعِ مُقْلَةً *** ولكنَّ دَمْعِي في الحَوَادِثِ غالِ([1])

وتأبى نفس الشاعر أن تموت في ديار الغربة، ويختار الشاعر أن يموت بين أهله أو على صهوات الخيل مدافعاً عن حماه وعن عرضه وفي ذلك يقول:

وَلَسْتُ أُبَالي إن طَفَرْتُ بِمَطْلَبٍ *** يكون رخِيصاً أَو بِسُمٍ مُزودِ

ولكِنَّني أَخْتَارُ مَوْتَ بَني أبي *** عَلَى صهوات الخيل غير موسَّدِ

وَتَأبى وآبى أن أمُوتَ مَوُسّداً *** بِأيدي النَّصَارَى مَوْتَ أَكْمَدَ أكْبَرِ([2])

والشاعر الكبير أبي الطيب المتنبي في هجرته من الكوفة إلى بغداد ثم إلى الشام، قاسى نوعاً من أنواع الغربة وهي غربة المهاجر، وهي غربة ثلاثية الأبعاد:غربة الشعور بالوحدة، وغربة الطموح لعلو الهمة، وغربة تضخم الإحساس بالذات وكبر النفس والاعتزاز بها.

فغربة الطموح في رحيله إلى الشام بعد أن شعر بعدم تحقق آماله بوطنه الكوفة يقول:

مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَة إلا *** كمُقَامِ المسيحِ بين اليهود

[1]- ديوان أبو فراس الحمداني، ط، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان 2007م، ص: 282.
[2]- المرجع نفسه، ص: 264.

ويقول مشبهاً غربته بغربة سيدنا صالح:

أنَا في أمَّةٍ تدرك ما الله ***** غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ([1])

وطموح شاعرنا المتنبي واعتداده بنفسه، جعله يشعر بالغربة في مجتمعه الذي يعيش فيه والذي لا يشاركه إحساسه، حتى يُخيَّل له أن البلاد تلفظه فلا مستقر فيها، فهو دائم الأسفار لا يخشى الهلاك لأن من يطلب العلا يتساوى عنده الموت والحياة:

وتبرز غربة تضخم الإحساس بالذات وكبر النفس والاعتداد بها عند المتنبي، الذي يصل به إلى وصف نفسه بأنه من قوم تأبى نفوسهم السكن في الأجساد، ويعترف بأن كبر النفس سبب في تعب الجسم، ثم تبرز غربة الوحدة والوحشة عند المتنبي في مصاحبته الوحوش في الصحراء، وفي بلاد فارس، عانى المتنبي غربة الوجه واللسان، **يقول:**

مَغَاني الشَّعْبِ طِيْباً في المغَاني *** بِمَنْزِلَةِ الرّبِيعِ مِنْ الزّمَانِ

وَلَكِنَّ الفَتَى العَرَبيَّ فِيهَا *** غَرِيبُ الوَجهِ واليَدِ واللِّسَانِ([2])

وتتجلى في العصر العباسي الغربة الفكرية عند أبي العلا المعري، ويشعر أنه مختلف عن غيره في طريقة التفكير وتَوقّد العقل، فيعتزل الناس وينزوي بعيداً عنهم، يقول:

هي غربتانِ فغربةٌ من عاقلٍ *** ثمَّ اغترابٌ من مُحكِّم عقله([3])

[1]- ديوان المتنبي، ط15، دار صادر، بيروت – لبنان 1994م، ص: 20،21.
[2]- المرجع السابق، ص: 541.
[3]- لزوم ما لا يلزم اللزوميات، أبو العلا المعري، ط، دار صادر، بيروت-لبنان 1983م، مج1، ص: 321.

وتفوق أبو العلا عن غيره من الشعراء بغربته الفكرية، فيحكي عن سجنه بين ثلاثة أنواع من الغربة هي: غربة العمى، غربته الاجتماعية، وغربة نفسه داخل جسده، يقول:

أرَاني في الثَّلاثَةِ مِنْ سُجُوني *** فَلَا تَسْأَلْ عَنِ الخَبَرَ النَبِيثِ

لِفَقْدِي نَاظِرِي ولُزُوم بَيْتي *** وكَونُ النّفْسَ في الجَسَدِ الخَّبيثِ([1])

ويشعر البحتري بالغربة الزمانية، ويرى أنه غريب عن زمانه، وبين أناس أشرار لا يخبر مظهرهم، يقول:

تقاذِفُ بي بلادٌ عَنْ بلادٍ *** كَأَنِّي بَيْنَها جَمَلٌ شَرودُ

وَأَيْنَ يكُونُ مُغْتَرِبٌ بَدَهْرٍ *** شَرِيدٌ في حَوَادِثِه طَرِيدُ([2])

وبرز عند العباسين اتجاه آخر للغربة، وهو ما نسمية بالغربة في طلب الرزق، ويصور لنا أبو تمام ما لاقاه من عنت ومشقة، يقول:

تَغرَّبتُ حتَّى لم أجِدْ ذِكْرَ مشرقٍ *** وشرَّقتُ حتَّى قد نَسِيْتُ المغاربا([3])

ويدعو الإمام الشافعي إلى الاغتراب في طلب الرزق والعلم والآداب ويرى في الاغتراب تفرجاً للهموم، وفرصة لصحبة الأماجد، يقول:

تغَّربْ عن الأوْطَانِ في طلبِ العُلا *** وَسَافِرْ ففي الأسْفَارِ خَمْسُ فَوائد

تفرُّجُ هَمٍّ واكْتِسابُ مَعِيشَةٍ *** وَعِلْمٌ وآدَابٌ وصَحْبَةُ ماجِد ([4])

---

[1]- لزوم ما لا يلزم اللزوميات، أبو العلا المعري، ط، دار صادر، بيروت-لبنان 1983م، مج1، ص:52.

[2]- ديوان البحتري، ط1، دار صادر، بيروت – لبنان 2005م، مج2، ص: 20.

[3]- ديوان أبو تمام، ط1، دار الفكر، بيروت – لبنان 2001م، مج1، ص: 85،86.

[4]- ديوان الإمام الشافعي، ص:49.

كما يحن إلى أرض مولده وأهله:

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إلى أرْضِ غَزَّة *** وإِنْ خَانَني بُعْدُ التَّفَرُّق كتماني

سقى الله أرْض لو طَفِرْتُ بِتُرْبها *** كَحلتُ بِهِ مِنْ شنه الشَّوق أَجْفَاني([1])

ويتوسع مفهوم الغربة والحنين من دائرة بُعد الشاعر عن موطنه وأهله إلى دائرة أوسع عند الشاعر ابن الاسكندرية، فالغربة عنده شملت جميع مراحل الإنسان منذ أن ولد إلى أن يستقر في إحدى الدارين، بل أن الغربة عنده تبدأ قبل يولد الإنسان؛ أي وهو نطفة في ظهر أبيه، ثم يتناول غربة العرض أمام الله تعالى يوم القيامة، وتحدث أيضاً عن الغربة الخالدة إمَّا في الجنة وإمَّا في النار، يقول:

وَمَا الشَّوْقُ للأَوطَان مِنْ أَجْلِ طِينِهَا *** ولا شرفٍ فيها وفضلِ مُقامِ

ولَكِنَّهُ في النَّفْسِ طبْعٌ لأَجْلِهِ *** يجادلُ في تَفْضِيلها وتُحَامي

ومنْ غُربةٍ يَبْكي الجنينُ إذا بَدَا *** وَقَدْ كان في ضيقٍ وفرط ظلامِ

وبعُد فما أوطَاننا إن تَحقَّقتْ *** سوى حُفَر في جندل ورغامِ

فما منزلُ الإنسان فيها مقرُّهُ *** وإن كان ذا خَيْمٍ بها وخِيامِ

ولكِنَّه دهن المنايا لمدَّةٍ *** مُحَرَّرةٍ معلومة بإمامِ

غريبٌ وإن لَمْ ينتزِحْ عَنْ بِلَادهِ *** فقيدٌ على عزٍّ وبُعدُ مَرامِ

تَضرَّبَ في الأحشاءِ عن ظهر والدٍ *** ومن بعدها لا شكَّ غربةُ سَامِ

[1]- ديوان الإمام الشافعي، ص: 97.

غُرْبتُهُ عنِ الحسابِ أَشَدُّها *** فَأَيُّ أُمُور لا تُطاقُ جِسَامِ

وغايته حالان: إمَّا لِجَنَّةٍ *** لها مِنْ جَوارِ الله خَيْرُ مُقَامِ

وَإمَّا إلى نارٍ فيا لك غُرْبَةً *** وطول عذابٍ دائم ولزامِ ([1])

وتتضح النزعة الصوفية في أبيات ابن الإسكندرية؛ لأن الغربة عند الصوفية تبدأ قبل الولادة وبعد الولادة وأثناء الحياة، وعند الموت وبعده، وعند الحساب، والوطن الدائم الذي لا اغتراب بعده عندهم الجنة أو النار([2]).

وترى الدراسة أن حب الأوطان والحنين إلى الأهل والبلاد غريزة في النفوس، وعلى الرغم من حياة العباسيين المستقرة إلا أن هناك أسباباً للغربة والحنين عبَّر عنها العباسيون، وقد تكون هذه الغربة في داخل الوطن أو خارجه.

نجد الاغترابَ والحنينَ في العصر الحديث فهو متزامناً مع ما منيت به البلاد العربية من استعمار، كان سبباً في اغتراب عدد من الشعراء، ونفي آخرين إلى أماكن نائية. والاغتراب والحنين عند جماعة إحياء التراث العربي، لا يختلف عن العصور السابقة، خاصة وأن أعلام هذا التيار قد عملوا على تقليد الأقدمين شكلاً ومضموناً، فنجد غربة النفي والحنين إلى الأوطان والأهل ومراتع الصبا، والغربة في طلب الرزق، وغربة الروح، والغربة الفكرية.

والشاعر أحمد شوقي الذي نُفيَ إلى بلاد الأندلس، يحنُّ إلى وطنه وأهله، ويقول في سينيته:

وَطَني لَو شُغِلْتُ بالخُلْدِ عَنْهُ *** نازعتني إليه في الخُلْدِ نَفْسي

[1]- ديوان الاسكندرية، تحقيق: حسين نصار، ط، دار مصر للطباعة، الفجالة– مصر 1969م، 283-285.
[2]- الفتوحات المكية، ابن عربي، ج2،ص: 586.

ويحنُّ كذلك إلى أهله بمصر، مفضلاً ودَّهم على ودَّ غيرهم، ويرسل شوقه إليهم قائلاً:

إلى الّذينَ وَجَدْنا ودَّ غَيْرِهِم *** دُنْيا وَوَدَّهُم الصّافي هو الدُّنيا

يَا مَن نَغَارُ عَلَيْهم مِن ضَمَائِرَنا *** ومِن مَصُونِ هَوَاهِم في تَنَاجِينا([1])

والشاعر محمود سامي البارودي نفي إلى جزيرة سرنديب فشكى الغربة وتذكر شبابه، وحنَّ إلى وطنه وإلى أهله، وها هو خليل مطران في ضاحية بالإسكندرية من أجل الشفاء، إلا أنه اعتبرها منفى فزاد من إحساسه بالغربة، وقد عبرّ بقوله:

إني أَقَمْتُ عَلَى التِّعِلَّةِ بالمُنى *** في غُرْبَةٍ قَالوا تَكُونُ دوائي

أو يُمْسِكُ الحَوْباءَ حَسْنُ مُقَامِها *** هَلْ مَسْكَةٌ في البَعْد للحوباءِ

عَبثٌ طوافي في البلادِ وَعِلَّةٌ *** في عِلَّةٍ مَنْفَايَ لا اسْتِشْفَاءِ

وبعض الأدباء في العصر الحديث كان يشعر بالغربة الفكرية، وذلك للبعد بين أفكاره وأفكار مجتمعه، وبيئته في البلاد العربية، فتغرب ليجد الحرية الفكرية والوئام العقلي في مجتمع جديد، ومن هؤلاء: أحمد زكي أبو شادي الذي هاجر من مصر إلى نيويورك في عام 1946م يقول في قصيدته "وداع مصر":

وغُرْبَةُ الفِكْر في دارٍ يُمَجِّدُهَا *** أقسى على الحُرِّ من فقدان ناظره

ويشتاق أبو شادي إلى مصر بعد أن تغرب في أمريكا، يقول:

مَنْ مُبلغٌ وَطَني الحَبيبَ تَلَهُّفي *** لِلقَائِه كَتَأسُّفي لِفراقِهِ

[1]- الأعمال الشعرية الكاملة، أحمد شوقي، ط، دار العودة، بيروت – لبنان 1988م، مج1، ص:46.

لجَّ الحنينُ وما عَرِفْتُ بِهَجْرَتي *** أن أستْتَخِفَّ بِعُنْفِهِ وزكَائِهِ

وَطَني الذي رُبِّيتُ تَحْتَ سَمَائِه *** وَوَهَبْتُ فنِّي نجوم سَمَائِهِ

مَنْ لِيْسَ يَعْدِلُهُ سِوى حُبِّي لَهُ *** حُبَّاً تشرَّد كاليتيمِ التَّائِهِ([1])

يتبع للشواهد الشعرية أنواع الغربة، تطرَّق لغربة الحبس وغربة السجن وغربة الأسر وغربة المنفى، في كل العصور وإلى العصر الحديث، ترى الدارسة أن كل من الغربة والحنين يفتقدان مسألة السيادة على الذات، وكل من سُلبت حريته وتعطلت حركته، وفرضت عليه الإقامة الجبرية، فهو بلا شك يعاني الغربة، فيحنُّ إلى أهله وديارِه ومجتمعه، ومراتع صباه، والشعراء إن أُسروا أو نُفوا أو حُبسوا أو سُجنوا، فإنهم بلا شك يعبرون عن شعورهم ومواقفهم، لا بالصمت، بل يسعون إلى أسماع أصواتهم، فالحاجة إلى الأسماع ذاتية؛ لما ألمَّ بهم من وحشة ومحنة، لأن الشعر من أشد عوامل التأثير في الآخر، ومن أقوى الذرائع للخروج من المحنة.

وتخلص الدارسة إلى أن شعر الغربة والحنين قد تطور وفقاً للتطورات التي عاشها الإنسان العربي في كل عصر، ففي العصر الجاهلي كانت الغربة بسيطة متمثلة في البعد عن الأهل والأحبة، فوقفوا على الأطلال، ثم ظاهرة الخلع عند الشعراء الصعاليك، وفي العصر الإسلامي والأموي، الغربة عن الديار، وغربة الحبس، وغربة الموت والقبر، وغربة الجند الفاتح، وغربة النفي، وغربة الحرمان والتشرد، وفي الأندلس غربة الهارب وغربة الطرد والجلاء والضياع، وغربة اللسان، وغربة السجن، وغربة الدين، وفي العصر العباسي غربة الأسر، وغربة المهاجر، وغربة تضخم فيها الإحساس بالذات وكبر النفس والاعتداد بها، وغربة

[1]- الأعمال الشعرية، أحمد زكي أبو شادي، دار العودة، بيروت – لبنان 2005م، ص: 570-571.

الوجه واللسان، وغربة أولي الفضل، والغربة الزمانية، والغربة في طلب الرزق، وغربة الروح، والغربة الفكرية وأن الغربة والحنين في العصور الأولى البسيطة لا تخرج من الدائرة الاجتماعية والمكانية، أما في العصر الأندلسي والعباسي، فبدأت تأخذ بعداً فكرياً وفلسفياً أكثر عمقاً.

## الفصل الثاني

## المبحث الأول

## طور النشأة:

### - عصر الفونج (1805 – 1821):

دخل العرب السودان قبل الإسلام وكان ذلك على مدى قرون([1]) وبعد دخول المسلمين مصر واختلاطهم بالبجة والنوبة، فقد النوبة ديانتهم تدريجياً واعتنقوا الدين الإسلامي، فسقطت علوة، وتقسمت دولة المقرة إلى دويلات مستقلة، وزال حكمها الموحد مما أدى إلى ضعف قواها وقيام دولة الفونج في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وأدت إلى توحيد بلاد النوبة في ظل دولة عربية إسلامية([2]).

استطاع عبدالله جمّاع مؤسس مملكة الفونج مع عمارة دُنقُّس أن يجمع القبائل العربية والمستعربة ويوحدها في دولة واحدة، ومنذ الحين بدأت تبرز في السودان قومية عربية قائمة على دعامتين هما: الدين والقبيلة، وقد عنى ملوك الفونج اهتماماً بالغاً بالإسلام وباللغة العربية، ولا غرابة في عنايتهم هذه، فقد قامت دولتهم من أجل نشر الإسلام وإعزازه وتمكينه، غير أنها دولة عربية –كما يزعمون– يهمها أمر لغتها، ولهذه الأسباب فقد حاربت الدولة المسيحية، وقضت عليها وحلت مكانها في حكم السودان، ومن مظاهر العناية بالإسلام واللغة العربية أن قربوا إليهم كثيراً من العلماء والمتصوفة وأغروهم بالهجرة إلى سنار عاصمة المملكة، فتجمع حولهم طلاب العلم والتصوف من نواحي السودان ومن خارجه.

---

[1]- دراسات في تاريخ السودان، يوسف فضل حسن، الخرطوم: دار التأليف والترجمة والنشر – جامعة الخرطوم 1975م، ص: 18.

[2]- هناك ثلاث نظريات حول أصول الفونج: الأولى تقول أنهم من بني أمية، والثانية أنهم من الشلك، والأخير أنهم من البنو، السودان عبر قرون، دكتور مكي شبيكة.

وقد أوجدت عناية ملوك سنار بالدين وباللغة العربية صلات أدبية بينهم وبين أدباء مصر، فمدح عمر المغربي ([1]) وهو أحد علماء الأزهر الملك بادي الثاني أحد ملوك سنار.

ويقول في قصيدته:

أيا راكباً قد جدَّ في السير قاصداً *** مواطن أحباب هناك أعزة

ويقتحم الأوعار بالجد في السير *** إليها بأقدام وأقوى عزيمة

وينهض من مصر وشاطئ نيلها *** كنهضة مشتاق للقيا الأحبة([2])

ويرى الأستاذ الشاطر بصيلي –محقق كتاب الشونة– أن هذه القصيدة أصابها التحريف والتعديل لتلائم الملك بادي أبو دقن([3])

فالذي لا خلاف عليه أن كلاً منهما قد أرسلت للملك بادي أبو دقن في صورتها المروية، وكانت برهاناً على تأييد الملك بادي للعلم ودليلاً على أن الشعر العربي كان يصل إلى سنار، مما يمكن أن نعده معيناً على نشأة الشعر الفصيح في السودان([4]).

وفى تلك الفترة نجد أن لمصر والمغرب الأثر الأكبر في إمداد السودان بكتب دينية ألفها المصريون والمغاربة، وكان الأدباء والمؤرخين المصريين والمغاربة دوراً بارزاً في الحياة الثقافية في السودان آنذاك([5])، يقول الشيخ محمد ود ضيف الله في مقدمة كتابه (الطبقات) أنه اقتدى في تأليف كتابه بجماعة من العلماء منهم من ألفوا

---

[1]-عمر المغربي هو مفتى الأزهر بمصر .

[2]- مخطوطة كاتب في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية مؤلفها أحمد بن الحاج أبو علي، تحقيق الشاطر البصيلي، ص: 11.

[3]- تراث الشعر السوداني، عز الدين الأمين، مصر –معهد البحوث والدراسات العربية 1969م، ص: 11.

[4]- المرجع نفسه، ص: 11.

[5]- المرجع نفسه ، ص: 11.

في التاريخ والمناقب كالإمام عبد الفاخر الفارسي في تاريخ نيسابور، والجلال السيوطي في كتابه: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وغيرهم من العلماء([1]).

وقد نمت طبقة من شيوخ الطرق ومكّن إجلال ملوك الفونج لهم منزلتهم في نفوس الناس، فرووا كراماتهم وأخبارهم، وقد اعتنق الشعب السوداني العقيدة الإسلامية على طريقة أصحاب الطرق الصوفية والمشايخ، وأعطى وزناً كبيراً للكرامات والخوارق والعادات التي ما زالت آثارها باقية إلى يومنا هذا([2]).

اهتم هؤلاء الشيوخ بدراسة اللغة العربية، إلا أن الأكثرية من الناس أميين لا يعرفون غير لهجاتهم المحلية الدارجة([3]) وقد أدى انعزال السودان إبّان العهد الفونجي لا سيما البدو منهم إلى الاحتفاظ بكثير من التقاليد العربية القديمة من شجاعة وكرم ونجدة الجوار وغيرها، كما احتفظت اللغة بكثير من أصولها العربية، كما أن هناك موروثات وثنية ومسيحية امتزجت بهذه التقاليد([4]).

وقامت على أيدي هذه الصفوة من الشيوخ في عصر الفونج حركة أدبية تسعى إلى النظم بالعربية الفصحى، ولكنهم لم يتجاوزوا التصوف الذي سيطر على الحياة في ذلك الحين، وقد قدمت من الشعر نماذج باللغة العربية إن لم تكن سليمة اللغة تماماً فقد كانت تجربة لا بأس بها في سبيل توجيه الناس إلى أدب قومي باللغة الفصحى، ويرى الدكتور عبد المجيد عابدين أن ذلك يمثل مرحلة طبيعية مر بها الشعر من دور

[1]- تراث الشعر السوداني، عز الدين الأمين، مصر –معهد البحوث والدراسات العربية 1969م، ص: 201.
[2]- كتاب الطبقات،محمد ود ضيف الله، ص: 34-36.
[3]- تاريخ الثقافة العربية في السودان، دكتور عبدالمجيد عابدين، ص: 202.
[4]- الشعر الحديث في السودان، محمد إبراهيم الشوش، ص: 16.

الشعبية الدارجة ساعياً إلى العربية الفصحى الخالصة من الأوشاب([1])، غير أن المادة المعروفة من هذا الشعر توضح أن الشعر الفصيح لم يكن تطوراً للشعر الدارج، فما زال الشعر الدارج يشغل مساحة كبيرة من مشاعر الناس، فالازدواجية بين الشعر الدارج والشعر الفصيح ما زالت إلى اليوم يشغل بال الكثير من العلماء والمفكرين، ويوافق الدكتور عبد المجيد عابدين على ذلك حين يقول: "وقد ترافقا أي الشعر الدارج والشعر الفصيح في صعيد واحد، إذ نعني بهذه المرافقة أن كلاً منهما يؤثر في الآخر دون إحلال محله"([2]).

والشيخ فرح ود تكتوك من الشعراء الذين كتبوا بالطريقتين الدارجة والفصيحة، فمن شعره الدارج:

كم عوى النمر ود عساكر *** كم فعل بيهن مناكر

للقيامة ما هو ذاكر *** في الخلائق ما هو فاكر([3])

ومن الشعر الفصيح منظومة طويلة بعنوان (الصفات والإيمان) وهي منظومة تعليمية:

أول الشرع في المقال *** بسمه الرحيم الرازق الرحمن

ثم الصلاة على النبي محمد *** السيدِ المبعوثِ من عَدْنّان

مَا يَجِب لله جَلَ ثَناؤُهُ *** عُشْرُوُنَ وضّعاً ثَابِتُ بِبِيَان

واجَبُ عَلَى كُلِ مُكَلَفٍ باقٍ *** إنسٍ وجنٍ حُرَهَا والعَاني[4]

[1]- تاريخ الثقافة العربية في السودان، عبدالمجيد عابدين، ص:203.
[2]- المرجع السابق، نفس الصفحة.
[3]- فرح ود تكتوك حلال المشبوك، الطيب محمد الطيب، الخرطوم: دار الطابع العربي، ص: 155.
[4]- المرجع السابق، ص: 148.

لغة هذه المنظومة ركيكة وإن كانت أكثر تقدماً نحو نظم فصيح على سابقتها، فالاستعمالات العربية الفصيحة فيها أكثر من الاستعمالات الدارجة.

ولم يكن الفرق بين الشعر الصوفي الدارج والصوفي الفصيح في اللغة فحسب؛ بل كان في الموضوع والروح، فالشعر الدارج كان متأثراً بشعر البطولة الشعبي، أما الشعر الفصيح فكان متأثراً بشعر مشاهير الصوفية من المسلمين، فكان الشاعر الصوفي يتقمص روح السلف وينقل معانيهم وعباراتهم، وذلك مثل ما فعل أحد شعراء الفونج في نقل معاني أبي البقاء الرندي في نونيته، (لكل شيء إذا ما تم نقصان)، يقول:

وكل شيء إذا ما تم غايته *** أبصرت نقصاً به في الحال إجهارا([1])

وبذلك ابتعد الشعر الصوفي الفصيح عن الشعر الصوفي الدارج ليس في الشكل فحسب بل في الروح أيضاً، وذلك أن كلاً منهما قد تأثر بالجو الذي سيطر عليه([2]).

[1]- تاريخ الثقافة العربية، عبدالمجيد عابدين، مجلة القلم، ص:204.
[2]- مخطوطة كتاب الشونة، ص: 10

**الأغراض في شعر الفونج:**

أكثر ما ورد من الشعر الفصيح في عهد الفونج، كان يتناول مدائح الشيوخ ومراثيهم.

**أولاً: مدح الشيوخ :**

أما مدح الشيوخ، فقد كان أسبق من غيره، من الأغراض في ميدان اللغة العربية الفصحى في السودان، وكما ذكر عبدالمجيد عابدين أن الشيخ هو محور الجماعة، وباعث نشاطها، وحامي ديارها، وشافي أمراضها([1])، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله علي ود الشافعي في مدح شيخه عمار بن عبدالحفيظ، يقول:

يَا طَالِبينَ لِكُلِ فَنٍّ تَبْتغوا *** شُدُّوا الرِّحالَ وَنوخُوا سِنْارا([2])

نلاحظ في هذه الأبيات اضطراباً لغوياً إذ حذف الشاعر نون الفعل المضارع (تبتغون) ولم يسبقه ناصب ولا جازم، وبرغم ذلك فإن هذه الأبيات تمثل خطوة في سبيل الوصول إلى نظم صحيح.

**مـــراثيهـــم:**

مِن أمثلة الرثاء مرثية عبدالنور([3])

صُوفِي الصِّفَاتِ، فَذَاكَ شَيْخِي *** أَبو إدْريس الوَرِعُ الوَجُول

لأخراه سَرِيْعَاً مُسْتَعِداً *** وَعَنْ أعْمَالَ دُنْياه عَطُول

لا يشتاق للّذاتِ فِيْها *** من مَأْكُول ومشْروب المعْسُول

لمرضات ربِّه سَهِرَ اللّيْالي *** أّحبَّ الجُّوعَ واكْتسَب النُّحُول([4])

---

[1]- تاريخ الثقافة العربية في السودان، عبدالمجيد عابدين، ص: 262.

[2]- كتاب الطبقات لمحمد ود ضيف الله، ص: 257.

[3]- هو تلميذ الشيخ ابن إدريس محمد بن الشيخ دفع الله بن مقبل العركي، كتاب الطبقات لود ضيف الله، ص: 66.

[4]- المرجع السابق، ص: 70.

ويجد الباحث في الرثاء المعاني نفسها التي تدور في المدح حيث تظهر فيه صفات المرثي بالسهر في عبادة الله والعلم والتضلع فيه والتعلم به ونشره بين الناس.

**نظـــم العلوم:**

وقد كان من شعراء الفونج من عني بنظم العلوم، فقد نظم صاحب الطبقات أن عبدالله بن دفع الله العركي كان له الباع في نظم كبرى السنوسية والمقدمات في نظم البديع([1])، ونظم فرح ود تكتوك صفات الإيمان في 75 بيتاً([2])

**نظم المواعظ:**

ومن أمثلة ذلك الأبيات التي نظمها مكي الدقلاشي يقول فيها:

اعلمي يا نفسي إن المُوُتُ يُصلْحِكِ *** تموتي بغتة والقبر مسكنك

وتنزلين بديارٍ لا بقاع لها *** إلا التراب والدُّود ينهشُك

محاسنك تبلى ويذهب جمالك *** تتمزق الأعضاء وتدرس عظامك

ورغبتك في الفاني وحسرة *** وعمرك محسوب ولم تدر ما أحلك([3])

الشاعر في هذه الأبيات يعظ نفسه بأنها فانية وأن مصيرها التراب رغم ما تتمتع به من جمال في الدنيا، ولا شيء ينفعها غير العمل الصالح، لكن في الأبيات يخونه النحو إذ يحذف الفعل المضارع (تموتين) دون سبق جازم أو ناصب وبذلك تغلب على نسجه الركاكة الفادحة.

---

[1]- انظر فرح ود تكتوك حلال المشبوك، الطيب محمد الطيب، ص: 148-154.

[2]- المرجع نفسه، ص234.

[3]- المرجع نفسه، ص: 235.

**نظم الحكمة:**

من أمثلة ذلك قول أحدهم:

أَرَى لِدَهْرِي إقْبالاً وإدْبَارا *** فَكُلُ حِيْنٍ يُرْوى للمرْءِ أَخْبَارا

يَوْمَاً يُرِيهِ مِنْ الأفْرَاحِ أكْمَلَهَا *** يَوْمَاً يُرِيهِ مِنْ الأحْزانِ أكْدَارا

وكُلُ شَيءٍ إذا مَا تَمَّ غَايَتُه *** أَبْصَرتُ نَقْصَاً به في الحَالِ إجْهَارا

فَلا يَغُر لِصَفْوِ العَيْش مُرْشِدُ *** لأنَّ إحْسَانُه مَا زَالَ إغْرَارا([1])

في هذه الأبيات خطأ نحوي، فالفعل (يرى) تعدى لمفعوله الأول بفعل جر، فهو استعمال مخالف للعرف النحوي، كما أن الشاعر عدى الفعل اللازم (تم) ولعله يريد (أتم).

وأكثر ما ورد في شعر المواعظ والحكم في هذا الشعر يتجه إلى نبذ الحياة وكبح جماح النفس، وتحقير المال والبنين ومظاهر الغنى والسلطان الدنيوي، وقلّ ما نجد في هذا الشعر دعوة إيجابية تدعو إلى الإقبال على الحياة والعمل على مجادلة الزمن والاندماج في الجماعة([2])، والسبب في ذلك هو أن هذا الشعر شعر شيوخ زاهدين في الدنيا ابتغاء مرضاة الله تعالى، وللشيخ فرح ود تكتوك قصيدة مطلعها:

يَا وَاقِفَا عِنْدَ أَبْواب السلاطين *** أَرْفِقْ بِنَفْسِكَ مِنْ هَمٍّ وتَحْزِين

وفي هذا العصر لا يوجد نظماً فصيحاً للسيرة النبوية أو قصة المعراج ونحوها من القصص الدينية، ويبدو أن الفترة كانت بداية دراسة كتب السيرة والمغازي

[1]- مخطوطة كتاب الشونة، ص: 80.
[2]- تاريخ الثقافة العربية في السودان، دكتور عبدالمجيد عابدين، ص: 160.

الإسلامية والتراث العربي، ولم يكن الشعر الفصيح قد اشتد عوده حينئذ على نظم القصص، ولكننا قد نجد الصلاة والتسليم على رسول الله صل الله عليه وسلم ترد في بداية المراثي أو في ختامها، كمطلع مرثية أحمد بن الحاج الطيب([1]) ليوسف بن الطريفي حين قال:

بدأت بحمد الله ثمَّ صلاته *** على خير مبعوث وأكرم من هدى

وقد ختم إبراهيم عبدالدافع رثاءه للفقيه محمد بن ضيف الله بقوله:

وصلي إلهي ثم سلم على الذي *** خُتمت به رسلاً وآتيته هدى([2])

**الشطح الصوفي:**

في عهد الفونج كان الشيخ هو محور الجماعة ومركز الأتباع الذين يعتمدون عليه في التماس سبيل الهداية والاقتداء، لذلك كان الشيخ الشاعر يتجه إلى الفخر بنفسه وبطريقته مبيناً مقامه عند ربه ومقام السالك من شيخه، ومركزه الروحي وإعلان ما أنعم الله عليه من تقوى وصلاح وقربى وتسخير للأمور، ويرى ذلك لزاماً عليه حتى يعرف أتباعه مقامه عند ربه، وقد عرف هذا النوع من الشعر الصوفي بالشطح ويطلق عليه الدكتور عبدالمجيد عابدين الفخر الصوفي([3])، ومن أمثلته قول الشيخ الهميم:

فَمَذّهَبَكُمْ نَصلّحْ بِه بَعْضُ دِينَنا *** وَمَذْهَبَنَا يُعْجَم عَلَيّكُم إذا قُلّنَا

فإن كُنْتَ يَا قَاضِي قَرأتَ مَذّهَبَنا *** فَلَم تَدِر يَا قَاضِي رِمُوُزَ مَذّهَبُنَا

---

[1]- قتل مع محمد ود عدلان 1235، وهو صاحب علم وبلاغة.

[2]- مخطوطة كتاب الشونة، ص: 46 – 68.

[3]- تاريخ الثقافة العربية في السودان، دكتور عبدالمجيد عابدين، ص: 208.

قَطَعّنَا البُحَارَ الزّاّخِرَاتِ ورَائِنَا *** فَلَم يَدْر الفُقّهُاءُ أيّنُ تَوَجّهَنَا

حَلَلَنا بِوَادٍ عِنْدَنَا اسّمَهُا القَضَا فَضَاق *** بِنَا الوَادِي فَنّحْنُ مَا ضِقّنَا([1])

ومما سبق يتضح أن أسلوب الشعر تقريري، وضعيف الأخيلة والتصوير، ومضطرب في كثير من الأحيان في الوزن، ومتأثر باللغة الدارجة، ويرجع الدكتور عبدالمجيد عابدين ذلك إلى أن اللغة الفصحى لم تكن ذات أهمية بقدر اهتمامهم بالإنشاد والانحراف في نشوة الترنيم جعلتهم يحطمون قوانين اللغة دون اكتراث([2])، إلا أن الطيب محمد الطيب يرجع هذا الوهن في شعر ذلك العصر إلى الرواة، وذلك حين تحدث عن شعر الشيخ فرح ود تكتوك بقوله (أما أقواله فقد كتبتها كما وجدتها وفيها المستقيم والمضطرب والشعر بصفة خاصة وظني أن للرواة يد في هذا الاضطراب والوهن([3]).

ويبدو مما سبق ذكره أن عهد الفونج قد بدأت تدب فيه حركة علمية صوفية، وقد بدأت هذه الحركة تؤثر على العصر وتضيف إليه أغراض جديدة وتنقله من اللغة الدارجة إلى اللغة الفصحى، وقد اتسم هذا الشعر بضعف الخيال والتقريرية والركاكة.

[1]- كتاب الطبقات، محمد بن ضيف الله، ص: 329.
[2]- تاريخ الثقافة العربية في السودان، دكتور عبدالمجيد عابدين، 209.
[3]- فرح ود تكتوك حلال المشبوك، الطيب محمد الطيب، ص:23.

## المبحث الثاني

## طور النمو

## الشعر في العصر التركي (1821 – 1881م)

سبق وأن قلنا إن الشعر في السودان مرّ بعدة أطوار وسنتناول طور النمو الذي يمثله العصر التركي، أعقب مملكة الفونج، الإدارة التركية التي عرفت بسوء إدارتها مما أدى إلى إشاعة الرشوة والفساد والاختلاس، فانتشر جند الحكومة التركية في القرى، يحملون معهم الرعب والفزع، مذكرين الأهالي بنفوذ الحكومة بالجلد والتخريب، وكانت الحياة الاجتماعية امتداداً لحالها في عصر الفونج، أساسها النظام القبلي، الذي لم يتأثر بتوحيد القبائل العربية والمستعربة وتجميعها بزعامة عبدالله جمّاع، غير أن النظام الإداري الموحد قد خفف من حدة هذه القبيلة[1].

أدى فساد الحياة الاجتماعية، والبطش والإرهاب في العهد التركي إلى تمكين عقيدة التطرف الصوفية التي نمت في عهد الفونج في نفوس الناس، ورأوا في قدرة الشيخ الخارقة ما يرد عنهم بطش الحكام، ووجدوا في حلقات الذكر تعويضاً عن حياتهم العادية، ومن ثم ترسبت هذه التعاليم الصوفية في نفوس الناس لبساطتها وقربها من نفوسهم، ولأنها تحل كثير من المشاكل، وسوء الإدارة التركية انعكس على الحياة الاجتماعية، إلا أنها اهتمت بالتعليم، ففي عهد محمدعلي باشا أمر بإعادة بناء مسجد الفقيه إبراهيم أحمد بن عيسى[2]، وجعله معهداً علمياً مع تخصيص راتب شهري

[1]- السودان عبر القرون، دكتور مكي شبيكة، بيروت دار الثقافة، ص: 133-134.
[2]- هو بن الفقيه أحمد بن عيسى ولد 1192هـ، انظر في تراث الشعر السوداني، دكتور عز الدين الأمين.

له([1]) كما أمر ببناء حجرات لسكن الطلاب بمسجد كترانج، وأمر بإنشاء مسجد بدنقلا وإقامة مدرسة لتعليم الصبيان بجانبه([2]).

وفي عهد عباس أسست مدرسة ابتدائية بالخرطوم عام 1853م وأُسندت نظارتها لرفاعة رافع الطهطاوي، وأمر كذلك ببناء جملة مساجد ومدارس لإحياء العلوم الشرعية والمعالم الدينية([3]).

ويعد عهد إسماعيل خير عهود التعليم بالسودان في العهد التركي، فقد عنى بالتعليم الديني وتعمير مساجد الدين والقرآن([4])، وقد شهدت أخريات العهد التركي اهتماماً لا بأس به بالتعليم، بالإضافة إلى حفظ القرآن والدراسات الدينية في دور الشيوخ وأهمها مدارس المجاذيب وخلاوى البادراب، بالإضافة إلى نزوح أفراد إلى الأزهر ومكة طلباً للعلم([5])، وكان مما شجع على هجرة هؤلاء الطلاب إلى مصر إنشاء رواق للطلبة السناريين بالأزهر، فمنهم من حصل على أعظم الإجازات العلمية كالشيح أحمد البدوي بن محمد بن عيسى بن مدني، وابنيه الشيخ محمد والشيخ عبدالرحمن، وقد رجع هؤلاء واشتغلوا في وظائف القضاء الشرعي والتدريس والإفتاء والوعظ([6]).

وقد أخذت أنباء السودان مكانها في صفحات مجلة الوقائع المصرية مع أخبار مصر وبقية الدول التي احتلتها القوات التركية، بل شمل توزيعها بلاد السودان، ولكن

---

[1]- التربية في السودان، عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، ج2، القاهرة – المطبعة الأميرية ،1949م، ص: 15.
[2]- المرجع السابق ، ج3، 72-73، ج2، ص: 15.
[3]- المرجع السابق، ج2، ص: 37 و64.
[4]- السودان عبر القرون، دكتور مكي شبيكة، بيروت، دار الثقافة، ص: 159.
[5]- الشعر الحديث في السودان، محمد إبراهيم الشوش، ط2، الخرطوم، لجنة التأليف والنشر، جامعة الخرطوم
[6]- التربية في السودان، عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، ج2، ص: 74.

في حدود ضيقة جداً([1])، وفي عهد إسماعيل باشا بدأت الوقائع تنتشر للأدباء السودانيين خاصة عندما تولى جعفر باشا مظهر منصب حكمدار السودان([2]).

إن تلك الحياة العلمية في العهد التركي قد أكسبت اللغة قوة وسلاسة عن طريق التعليمين الديني والمدني، وإن الشعر العربي قد أفاد من ذلك كله، حيث كانت تدرس العلوم العربية من نحو وصرف ولغة إلى جانب دراسة القرآن الكريم حفظاً وتجويداً وتفسيراً، كما أن تلك الحياة العلمية بعلومها المدنية في المدارس قد اكسبت بالفعل ثقافة ومعرفة وتفتحاً انعكس كل ذلك على نتاج الشعراء وأصبح لدى الشعراء القدرة على نظم الشعر الفصيح الذي وجدنا له شذرات في عهد الفونج.

**الشعـــر في العهد التـــركي**

كان نتيجة لهذا المناخ أن ظهرت طبقة الفقهاء، وهي تمثل صفوة العلماء وأئمتهم، إنهم النخبة المتميزة بالعلم الغزير والقدوة الحسنة وأخذت تلعب دوراً مهماً في الحياة الثقافية، ورغم ذلك لم تؤثر هذه الفئة على عقول الناس بالشكل الكبير، لقلة عددها، ولأن التأثير الفعلي للناس كان من أرباب الطرق الصوفية ([3])، كان لظهور هذه الطبقة أثر واضح في تطور الشعر العربي، يقول الدكتور محمد إبراهيم الشوش "ولعل من المهم أن نلاحظ أن نشأة الشعر العربي الفصيح في السودان كانت على يد هذه الطبقة من العلماء الذين تلقوا تعليماً دينياً ولغوياً في الأزهر أو في الحجاز وقضوا فترة من حياتهم خارج السودان([4])، ومنهم من تلقى تعليماً داخلياً كالشيخ الأمين الضرير([5])، والأستاذ محمد أحمد هاشم([6])، ومنهم من بدأ دراسته الأولى في

[1]- التربية في السودان، عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، معهد البحوث والدراسات العربية، ج2، ص:75.
[2]- السودان عبر قرون، مكي شبيكة، ص: 103.
[3]- تراث الشعر السوداني، عز الدين الأمين(مصر- معهد البحوث والدراسات العربية 1969)، ص: 74.
[4]- الشعر الحديث في السودان، محمد إبراهيم الشوش، ط2 ، الخرطوم لجنة التأليف والنشر – جامعة الخرطوم 1971م، ص: 17.
[5]- رئيس علماء السودان وظل في هذا المنصب حتى 1885م إلى سقوط الخرطوم، واشتهر بالأدب والشعر (شعراء السودان، ص: 109).
[6]- عين ناظراً لمدرسة بربر، ثم قاضياً للخرطوم،كان شاعراً شغوفاً بالتاريخ، نظم تاريخ السمرقندي في قصيدة : نفثات اليراع، ص: 109.

السودان وتخرج في مصر كالشيخ أحمد الأزهري([1])، ومنهم من كانت دراسته جميعها بمصر كالشيخ أحمد السلاوي([2])، وهناك ملاحظة مهمة أن هناك شعراء مخضرمين لم تبرز شاعريتهم بوضوح إلا في عهد المهدية كالشيخ حسين إبراهيم الزهراء، محمد عمر البنا، محمد طاهر المجذوب.

بدأ الشعر في هذه الفترة تركياً، وهذا أمر طبيعي لأن نشأته صادفت هذا المناخ وتأثرت به أولاً ثم تطلعت إلى النماذج الأخرى المختلفة، وقد أكد هذا، الدكتور عبد المجيد عابدين حيث قال: "والملاحظ أن الشعر التقليدي في السودان، من الوجهة الفنية سار في اتجاه مضاد لاتجاه الشعر التقليدي في الأدب العربي عامة، أعني أنه لم يبدأ جاهلياً بل بدأ سودانياً تركياً حيناً، وعثمانياً حيناً آخر على أيدي شعراء الأتراك والمهدية، ثم بدأ يرتقي ويتطلع إلى النماذج العربية حتى بلغ أوجه على يد محمد سعيد العباسي([3])، وقد ارتقى شعر الفقهاء من ناحية المضمون والشكل حتى أنه كان يسمع خارج السودان ويشار إليه بالجودة والاستحسان، ونموذج لذلك قصيدة الشيخ عمر الأزهري:

سَلُوا عَنْ فُؤَادِي مَستدلاَتِ الذّوَائِبُ *** فَقّدْ ضاع من بين القلوب الذّوَائِبُ
سَلِمِتِ نفسٌ مِنْ الْحُب قَد خَلَت *** وَلَا كَانَ جَفْنٌ دَمْعَهُ غَيْرُ سَاكِب
سبا مهجتي لدن المعاطف أهيف *** له لفتات دونها كل ضارب
ولا عيب فيه غير أنَّ جفونه *** بنتها على كسر جميع المذاهب
وكم أتقي كسر الجفون لأنها *** أعدت لتعويق السهام الصوائب([4])

[1]- عمل بالتدريس وعين قاضياً لمديرية كردفان ودارفور، توفي 1833م، مقتولاً، نفثات اليراع، ص: 104.
[2]- تراث السعر السوداني، عز الدين الامين، ص: 18.
[3]- تاريخ الثقافة العربية في السودان، د.عبدالمجيد عابدين، ج2، القاهرة المطبعة الاميرية، ص: 218.
[4]- نفثات اليراع، محمد عبدالرحيم، الخرطوم – شركة الطبع والنشر 1931م، ص: 98.

هذه القصيدة نالت جائزة مجلة الجوانب المصرية، وهذه الأبيات تميل إلى المحسنات البديعية والتلاعب اللفظي وهذا يمثل سمة بارزة من سمات شعر الفقهاء الذي يمثل مرحلة جديدة في تطور الشعر العربي في السودان.

ومن ذلك قصيدة يحيى السلاوي الذي اندمج في الثورة العربية، وطلب إليه أحمد عرابي أن ينظم قصيدة تطبع وتنشر في القطر المصري فنظم قصيدة أورد بعض أبياتها صاحب نفثات اليراع، وكان من أهمية هذه القصيدة أن طبعت بماء الذهب وبيعت في شوارع القاهرة ومن هذه الأبيات:

شَغَلَ العِدى بتَشتُتِ الأحْزابِ *** واللهُ نَاصِرُنا بسيْفِ عُرَابي

والْقُطْرُ فيه مِنْ الرِّجَالِ كَفَاءةً *** للحَادِثَاتِ فَهُمُ أولُوا الألْبَابِ

وحِمِيَّة الإسلام تَقْضِي بالوَفَاة *** حَتْماً على كُلِ امْرِئٍ أوابِ

وَمَحَبَّة الوَطَنِ العَزِيزِ تُحِثهَمْ *** والفَتَح إذنْ باتباعِ صواب[1]

الأبيات تحمل مضامين جديدة، وهي قضية حب الوطن وحمايته، وتوظيف سيف عرابي رمزاً للحماية والباعث هو محبة الوطن، من أجل إخراج المستعمر، وهذا لن يتم إلا باتباع نهج الثورة العرابية، في القصيدة تطور في المضمون، ومن جانب آخر فهي سليمة الوزن والقافية ولغتها الشعرية.

ومهما يكن من أمر فقد ارتفع الشعر في مستواه عن شعر عصر الفونج، فتحقق فيه إلى حد كبير سلامة اللغة وصحة التراكيب، وارتقى من حيث العبارة والفكرة واتسم باستقامة الموسيقى وإن لم يخل بعضه من الاضطراب[2].

[1]- نفثات اليراع، محمد عبدالرحيم، الخرطوم – شركة الطبع والنشر 1931م ، ص: 83.
[2]- تراث الشعر السوداني، عز الدين الأمين، معاهد البحوث والدراسات العربية 1969م، ص: 36.

**أغــراض الشعــر:**

أهم الأغراض تنحصر في ثلاثة اتجاهات هي:

المدح والرثاء وتشطير وتخميس ومعارضة القصائد القديمة.

**1/ المــدح:**

يتمثل المدح في مدح النبي ومدح أهل السلطان ومدح العلماء.

**أ/ المــدح النبــوي:**

تطور المدح وانتقل من مدح الشيوخ في عهد الفونج إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم، المديح النبوي قصيدة للشيخ الأمين الضرير مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ضمنها أسماء القرآن الكريم يقول في أبيات منها:

يَاَ رَبَّ صَلِ عَلَى مِنْ كَانَ خَاتِمة *** بِكْرُ الْوجود بِهِ عُمْرَاَننَا اتّصَلَا

مَاَ للْنساء كَمِثْل الْمُصْطَفَى ولدٌ *** إذْ مَنّهُ مَائِدةَ الْأنعامِ والْعُقلَا

أَعْرَافُه الْمِسْكُ والْأَنْفالُ وَاَفَرَهُ *** لِمَنْ بِهِ تَوْبَةٌ كَيِ تُذْهِبَ الْوَجَلا

بِهِ ليوُنِس أُنس ثمً هُود هُدىَ *** ويُوسفٌ حُسْنَهُ مِنْ أَجْلِهِ كُمُلا([1])

الأبيات مهلهلة البناء، والشاعر حاول أن يضمنها سور القرآن بالترتيب، ولكنها على ملمح من ملامح الشعر في هذا العصر وهو إقحام العلوم اللغوية والفقهية في مادة الشعر وخياله، حيث أصبحت القصيدة وسيلة تعليمية.

وقد تأثر هؤلاء الفقهاء في مديحهم النبوي بالنزعة الصوفية الوجدانية، ففي شعرهم الابتهال إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتصوير حبهم لشخصه والبكاء

[1]- شعراء السودان، سعد ميخائيل، مطبعة رمسيس بالفجالة، ص: 32.

استغفاراً وتوداً له وذكر ذنوبهم راجين من الله مسحها([1])، يقول محمد الأمين أبو قرين:

يَا سَيدي غَوْثَاً سَرِيْعَاً عَاجِلاً *** أَنْتَ الّذِي قَدْ نَالَنَا إحْسَانُه

قَدْ مَسَّني ضُرٌّ إلى مِنْ أَشْتَكي *** أَنْتَ الّذي يُخْزِي العِدا فرسانه

أَنْتَ الّذي فِي الحَشْرِ تَأتَي شَافِعَاً *** مَنْ هَوْلِ يومٍ أُسْعِرت نيرانه([2])

القصيدة فيها انطلاقاً للخواطر والهيام وبحاجة الشاعر إلى الغوث، ويوم عسير لا منجى منه إلا شفاعة رسول الله صل الله عليه وسلم.

وقد تأثر هؤلاء الشعراء أيضاً بالشعراء العذريين، أمثال جميل بثينة، ومجنون ليلى فحبهم ذلك الحب قد خانه حسن الذي يستبد بالإنسان فيحيل حياته إلى سهاد وأرق وذبول ودموع مذلة، يقول عمر الأزهري:

بَادٍ هَوَاهُ وزَائدٌ خَفَقَانَهُ *** صَبٌ تَفْرقَ بالّنوَى أَخْدَانَهَ

فَجَرتْ بَوَادِرَ مُقْلَتِيه لَمّا جَرَى *** جَمْراً وَحّن إلى الْوِصَالِ جِنَانَهُ

تحس في هذا الشعر بحرارة، ووجد، وشقاء أقلق الشاعر، وليس له حبيبة يشتاق إليها أو يتعذب لفراقها، وإنما الذي يحرّقه هو حب النبي صل الله عليه وسلم صاغه في شكل شعر غزلي ليعبر عما في نفسه من حب وشوق للوصول إلى حرمه وزيارة قبره، وهذه الصورة من الغزل هي ملمح جديد لم يعرفه عهد الفونج، ولم يكن ذلك إبداعاً أو ابتكاراً وإنما تقليداً لشعراء الصوفية في ذلك الوقت، وقد وضع في قالب بنائي يسهل تذوقه والاستغراق فيه وتحريك لمشاعر الناس، فقد تطور الفخر الصوفي الذي كان في عهد الفونج إلى غزل صوفي، وفيه يستعيرون صوراً من الشعر العربي

[1]- الشعر الحديث في السودان، محمد إبراهيم الشوش، ط2، الخرطوم ، لجنة التأليف والنشر – جامعة الخرطوم 1971م، ص: 40.

كبكاء الحمامة ورجيعها، ورحيل الحبيبة، ووصف المطي وغيرها، يقول الخليفة أحمد إبراهيم:

إِذْاَ ذُكِرتْ لَيْلى فَعَقْلِي يَذُوبَا *** وإِنْ خَطَرَتْ يَوْماً بِقَلْبِي يَغِيبَا
وإِنْ لَمَعَ الْبَرْقُ الْحِجَازي نَحْوَهَا *** فَعَيْنَيَ مَسَيْلُ الدّمِع وَدَمَاً سَكُوبَاً
وإِنْ كَرَرُوا لَفْظَاً بِذِكْرٍ حَدِيثِها *** تَرَانِي عَلَى صَبْرٍ قليلٌ مُعَذّبَا
يَقُوْلَونَ عُزَالِي لَعَلَكَ عَاذِرٌ *** فَقُلتُ نَعَمْ إِنِي لِلِيلىَ مُرَاغِبَا([1])

لا يعني الشاعر ليلى المحبوبة، وإنما يرمز بها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والشوق إليه، وهي صورة رمزية صوفية، من جانب آخر فالقصيدة مهلهلة البناء الشعري ومليئة بالأخطاء اللغوية والنحوية والعروضية.

وجانب آخر في قصائد المدح النبوي هو إقحام بعض العلوم ومصطلحاتها داخل النص الشعري، فالشعراء اتخذوا المدح النبوي كوسيلة تعليمية يذكرون فيها أسماء السور على الترتيب وبعض ما تضمنه القرآن الكريم والأحاديث النبوية من معجزات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومن هنا بدأ الأثر الفقهي يغلب على شعر هذا العصر بعد أن احتلت النزعة العلمية مكاناً مرموقاً بانتشار خريجي الأزهر والمعاهد الدينية حتى أصبح لهم مكانة إلى جانب أصحاب النزعة الصوفية، وهناك من جمع بين النزعتين([2])، والشيخ عمر الأزهري الذي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وعدد معجزاته في قصيدة يقول فيها:

وخَاطَبَتُهُ غَزَالٌ والبعيُر شَكَا *** العُوْدُ أَخْبَرَهُ مِنْ غَيْرِ كَتْمَانِ

والعُوْدُ حَنّ، ونُطْقُ الضّبِ شَاعَ وَفَاهَ *** الطّفل مِنْ مَهْدِهِ مِنْ غَيْرِ بُهْتَانِ

[1]- ديوان الغرام والحب، الخليفة احمد إبراهيم مطبعة منديل، ص: 4.
[2]- تاريخ الثقافة العربية في السودان، د. عبدالمجيد عابدين، ط2، المطبعة الامير، ص: 221.

وأَبْرَأتْ مَسَهُ مِنْهُ العَلِيلُ كَمَا *** بِهِا القَلِيْل كثيراً صار ذا شأنِ

في الصَّخْرِ أَقْدَامُه يَبْدُو لَهَا أَثَرَاً *** ولَمْ يَرَى بالنقَا مَع طُولِ إِمْعَانِ([1])

يريد الشاعر أن يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يضمنها بعض معجزاته، ولكن الوزن والقافية لم تطاوعه، فجاءت مهلهلة النسيج مختلفة القافية.

ومن هذا القبيل أيضاً ما كان يفعله الشعراء من تضمين قصائدهم النبوية أسمائهم وأسماء ذويهم وتاريخ القصيدة التي قيلت فيه ومن ذلك قول الشيخ إبراهيم أحمد هاشم:

يَا خَاتمِ الرُّسُلِ الكِرَامِ وواهبُ *** الأنِعام فارْحَمَ صَبْوَتِي وَنوُاحِي

وارْحَم لإبراهيمَ أحمدَ هاشمٍ *** وأَلْطُفْ وأَكْرِمُهُ بِنَيلِ مَلَامِحِ([2])

**ب/ مدح أهل السلطان:**

انحصر هذا المدح في مدح الخلافة العثمانية وولاتها وها هو الشيخ محمد الأمين الضرير يمدح الخديوي توفيق وجعفر باشا مظهر حكمدار السودان في قصيدة يقول فيها:

الَودُ مَأْدَبَة والصَّدقُ إِخْوَانُ *** والصَّادِقُوُنَ لَدَىَ الآدَابِ إِخْوَانُ

أَشْعَارُهُمْ ذَاَتُ إِشْعَارٍ بِحَالِهمُ *** فَهْيَ الشّعار حُظُوا بالوَصْلِ أَو بَانُوا

فالْمَرءُ مُخْتَبِيءٌ تَحْتَ اللّسِانِ وَمَا *** غَيْرُ الْكَلامِ لَهُ كَشْفٌ وتَبِيْانُ

قُلُوُبُهم حَاضِراتٌ حَيْثُمَا عَمِلوا *** وإنْ تَنَاءتْ لِبُعْدِ الدَّارِ أَبْدَانُ

لَكِنَّ عِلْمَهُم قُدْ كَانَ فِي دِعةٍ *** والنَّاسُ فِي غَفِلةٍ والدَّهرُ سِنَانُ

[1]- شعراء السودان، سعد ميخائيل، مطبعة رمسيس بالفجالة، ص: 251.
[2]- شعراء السودان، سعد ميخائيل ص: 58.

فَقُلْتُ قَدْ لَاحَ لِي والله ذُو كَرَمٍ *** وجَعْفَرِ الْفَيضِ بالخَيْراتِ مَلْآنُ

إلى قوله:

مِخَايلُ الْخَيْرُ فِي تَوْفيقِهِ ظَهَرَتْ *** أَكْرِم بِشَهْمٍ لَهُ التَّوَفِيقَ عُنْوَانُ

صَانَ المَواطِنَ تَوفِيقُ العَزِيزِ كَمَا *** حَيَّ أَولي العِلمِ مَهْمَا كَانَ أو كَانُوا[1]

نلاحظ في هذه الأبيات ظاهرة جديدة لم تكن في العهد السابق وهي استخدام المحسنات البديعية من طباق وجناس وتورية، كما أن الوزن والقافية أكثر نضجاً وإحكاماً، وان اللغة أصبحت لغة شعر، أما المعاني فليس فيها جديد، وقد علق محمد عبد الرحيم عليها بقوله: "إنها بليغة في أسلوبها قوية في تعابيرها ...."[2]

**ج/ مدح رجال الدين:**

أما مدح رجال الدين فنجد منه قصيدة للشيخ يحيى السلاوي مدح فيها السيد محمد سر الختم الميرغني([3])، الذي ساعده على السفر إلى الأستانة عندما أخذت الحكومة تقبض على دعاة الثورة العرابية في مصر([4]) يقول فيها:

سَلِيلُ رَسُولِ الله طَهَ كَفَى بِهِ *** فِخَاراً وحَسْبِي مِنْه نَالَ إِحْسَانَ

ومَنْ ذَا الْذِي يَرْجُو شفاعة جدِّه *** إذا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِ مِنْه لَهُ شَأنْ

وَحَسْبُكَ فِي الخُطُوبِ ونَاصِراً *** إذا بَانَ مِنْ صِدَمَ الشَّدائدِ مِعْوَانُ([5])

---

[1]- نفثات اليراع في الأدب والاجتماع، محمد عبدالرحيم، الخرطوم شركة الطبع والنشر، 1931، ص:79.

[2]- المرجع السابق نفسه، ص: 81.

[3]- هو حفيد السيد محمد عثمان الميرغني، من كبار رجال الطوائف الدينية، قصائد ملحقة بديوان السيد محمد عثمان الميرغني النور البراق، وتسمى ملحقات القصائد المدنية، نفثات اليراع، محمد عبدالرحيم، ص: 85.

[4]- السابق نفسه، ص: 85.

[5]- نفثات اليراع في الأدب والاجتماع، محمد عبدالرحيم، مطبعة رمسيس، ص:86.

القصيدة عبارة عن قربى وتزلف للممدوح ووصله بالنبي صلى الله عليه وسلم، هذه الظاهرة جديدة بخلاف عهد الفونج الذي كان يمثل مدح العلماء فيه وصف للممدوح بالعلم والتضلع والتعلم بِه والزهد والتقشف وإمضاء الليالي في العبادة، أما هنا فشرف الممدوح الكرم وجمال المحيا والانتماء إلى البيت النبوي، ومن هنا نشأت قضية البحث عن الأصول التي تشبعت فيما بعد في عرقيات بعضها عربي وبعضها زنجي وأصبحت تمثل صراع بين العربية والأفريقية.

**الرثـــاء**

معظم الرثاء يدور حول طبقة العلماء المتصوفة، ولا يختلف عن المراثي في عهد الفونج، ومنه قصيدة إبراهيم عبد الدافع، يرثي بها خيار العلماء الذين ماتوا 1825م، ومنها الأبيات التالية:

فَمَنْ إِلى العِلمِ فِي الآفَاقِ يَنْشُرَهُ *** ومَنْ يَقُومُ بِحُكْمِ الشّرعِ مُلْتَزِمَا

وَمَنْ يُرَتْلُ الْقرآن فِي سَحَرٍ *** ومَنْ يقَوُمُ يُنَاجِي الله مُحْتَشِما

ومِنْ إلى الصَّلواتِ الْخَمْس يَحْفّظُها *** مُبَادِراً وقْتَهَا مَا دَامَ مُزْدُحِما

وَمَنَ الْذيِ أَعْلَنَ الدّاعِي بِحَيَّ أَتَي *** مُهَرولاً خَاشِعاً لله مُلْتِثما

ومَنْ يُلازِمُ أَذْكارَ الصّلاةَ عَلى *** خَيْرِ الْبَرية طُولَ الْدَهَرَ مُقْتَنِما([1])

الشعر هنا لا يخلو من خلل بنائي، وهو مستقيم نوعاً ما إذا قورن بشعر الرثاء في عهد الفونج.

[1]- مخطوطة كاتب في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية مؤلفها أحمد بن الحاج أبو علي، تحقيق الشاطر البصيلي، ص: 99.

ترويض القول في تشطير وتخميس ومعارضة القصائد القديمة:

هذا النوع سمة من سمات شعر الفقهاء، فقد شطر الشيخ الطيب أحمد هاشم([1]) قصيدة للوزير لسان الدين يقول منها المقارنة تبين للقارئ المقصود:

هَلْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِي هُبُوب الرِّيحِ *** نَاراً تَأَجِجُ فِي فُؤَادِ طَرِيح

أمْ كُنْتَ تَعْرِفُ بَيْنَ أرْبَابَ النُّهَى *** نَفساً يُؤَجج لَاعِجَ التَّبْرِيحِ

وأَتَتْكَ مِنْ زَهْرِ الرِّيَاضِ بنَفَحةٍ *** فَآحَتْ لَهَا عَرْضُ الفِجَاجِ الفِيحِ([2])

ولا هدف من هذا التشطير سوى إظهار المهارة اللغوية وإن كان أضعف بناءً ومعنى من شعر الأصل، هذه السمة طغت فيما بعد على شعر المديح النبوي، وبصفه عامة لم يخرج شعر التشطير والتخميس عن نطاق الموضوعات المتداولة، فقد درج على تشطير وتخميس قصائد كبار علماء الطرق وشعراء المديح المعروفين أمثال البوصيري، وأحمد الرفاعي، وابن الفارض وغيرهم.

[1]- نشر الأزهر الشذية، الشيخ الطيب أحمد هاشم، ولد ببربر، عين كاتب بمحكمة بربر وتدرج إلى أن وصل منصب مفتي الديار السودانية، أولع بالتشطير لأصعب القصائد الدينية، أخذ العلم عن الشيخ محمد الخير والشيخ عبدالحي الطرابلسي والشيخ حسين الزهراء، انظر شعراء السودان، ص: 45.

[2]- نشر الأزهر الشذية، الشيخ الطيب احمد هاشم، جمع احمد البشير الطيب، الخرطوم شركة الطبع والنشر، 1963م، ص: 25.

## المبحث الثالث

## طور التطور

## الشعر والثورة المهدية:

### التطور الذي تمثله الثورة المهدية في الفترة من (1821 – 1881) :

فيما سبق ذكرنا طوري النشأة والنمو للشعر في السودان هنا نعرض التطور.

موضوع المهدي في الحضارة العربية موجود، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين"، ولكن الكلمة خرجت من معناها اللغوي حين أطلقت على الإمام علي وابنه الحسين، وحين خصصتها الفرقة الكيسانية بمحمد بن الحنفية الذي قيل عنه إنه لم يمت، وأنه وأصحابه يقيمون في جبل رضوى، وأنهم جميعاً أحياء([1])، وعنده عينان نضاختان تجريان عسلاً وماء لأنه يرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلاً"([2]).

وعلى كل فقد تأسست دولة باسم المهدية كدولة للموحدين في المغرب، ودولة المهديين في السودان، ويجب ألا ننسى الدولة الفاطمية التي كانت نتاج غير مباشر لفكر المهدي([3]).

من هنا نبعت المهدية في السودان من شعب لم يعد يصبر على الذل والفساد الذي فرضته الإدارة التركية، كانت وجهة المهدي في بدايته صوفية دينية، ثم بدأ يتخلص من أثر الطرق شيئاً فشيئاً حتى أعلن منعها وحظر نشاطها، كانت مهمته الرئيسة هي خلق مجتمع سليم خال من الفساد باعتباره المهدي المنتظر ومخلص الناس من الظلم، وقد ألزم نفسه بأن يقفو أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه يعيد

[1]- المهدي والمهدية، أحمد أمين، ص: 11 وما بعدها، الشعر الحديث في السودان، عبده بدوي، ص: 267- 268.
[2]- المرجع نفسه، ص: 269.
[3]- المرجع نفسه، ص: 270.

سيرته كما أن زمنه مثل زمنه وأن أصحابه مثل أصحابه في الفضل والمرتبة الدينية([1]).

وقد واجهت المهدية مقاومة على الصعيدين: الرسمي من قبل الحكومة التركية، والشعبي من قبل المثقفين الذين استناروا بنور العلم وكونوا طبقة مثقفة من العلماء ترى أن المحافظة على كرامة الوطن أمر واجب يحتمه الدين والوطن، وكان أغلبهم يشغل وظائف الإفتاء والقضاء الشرعي والوعظ والتعليم الديني([2])، أما الإدارة التركية فقد قاومت المهدية بالكلمة والسلاح فأصدر السلطان سليم عبد الحميد منشوراً يكذب فيه دعوى المهدي، وأفتى علماء الأزهر كذلك بتكذيب المهدي([3])، وألف علماء السودان أيضاً رسائل تكذيباً لدعوة المهدي ودحضاً لحججه وإيضاح الخلل فيها، ويرى هؤلاء المعارضون أن المهدية خروج عن الشرع المتفق عليه وفق ذلك فهي قلب للأوضاع، ثم أنهم يرون أن محمد أحمد ليس أهلاً لذلك ولم يستوف الشروط المعروفة، ثم أنه يكذب على زملائه لينعم من خلفهم بنعم الدنيا([4]).

أن إنتصارات الثورة المهدية المتوالية إليه قد برهنت على قوتها ضد الحكومة التركية، مما أدى إلى التفاف الناس حولها وانخراطهم في الدفاع عنها، وانهارت الحكومة التركية، وبذلك أصبحت المهدية حقيقة واقعية، مما أدى إلى إعلان بعض العلماء تأيدهم للمهدية بعد أن وقفوا ضدها، كالشيخ المضوي الذي انضم إلى صفوف المهدية بعد انتصارها في شيكان، كما أنه اشترك في حصار الخرطوم([5]).

---

[1]- الحركة الفكرية في السودان، د.محمد إبراهيم أبو سليم، الخرطوم قسم التأليف والنشر – جامعة الخرطوم 1977م، ص: 50 -51.
[2]- الصراع بين المهدية والعلماء، عبدالله إبراهيم علي، الخرطوم : جامعة الخرطوم 1966م، المقدمة.
[3]- السابق نفسه، ص: 13.
[4]- الحركة الفكرية في السودان، محمد إبراهيم أبو سليم، ص:39.
[5]- تاريخ السودان القديم وجغرافيته، نعوم شقير، ج3، مصر – دار المعارف 1930م، ص: 134.

إن المهدية التي حركت ساكن السودان ودفعت به إلى الحركة والاضطراب، قد أحدثت تطوراً في الشعر العربي، وتغير أسلوبه من الناحية الموضوعية، وقد حصر مؤرخو الأدب هذا التطور من الشعر البطولي الذي لم يكن يعرفه السودان من قبل بالإضافة إلى ظهور أغراض مختلفة وملامح جديدة، وارتبط موقف الشعر من المهدية بمواقف قائليه وهم الطبقة المثقفة في البلاد فانقسموا ما بين مؤيد ومعارض ومستقل، وهنالك شعراء آمنوا بالثورة المهدية وحاربوا في صفوفها إلى جانب حربهم بالقلم وقد أبلوا بلاء حسناً في الدفاع عنها ومناصرتها، ويرى هؤلاء أن المهدية رسالة كُلِّفَ بها المهدي لرفع راية الإسلام، وإزالة دولة الترك التي خانت الإسلام واستبدلت القرآن بالقوانين الوضعية([1])، وشعر هؤلاء يُغَنِّي للمهدية ويشيد بالمُثُل التي بَشرت بها المهدية،

وهذا الشعر مع قوة بعض نماذجه وحرارتها لم يكن كثيراً لأن أغلب المثقفين أحجموا عن مناصرة الثورة المهدية لأن وجهات نظرهم تخالف وجهات نظر المهدي، فالمهدي صاحب اجتهاد واتجاه في الدين يخالف ما هو قائم في المجتمع، تنازعه المذاهب الفقهية والطرق الصوفية وله خصوم في الدولة وخصوم من الساسة والعلماء وبعض مشائخ الطرق، وهو يقود جيشاً مظفراً ومؤمناً وله خلفاء بالغ في تعظيمهم والثناء على سمو مكانتهم([2]). وقد صور هؤلاء الشعراء ظهور المهدي ومعتقداته وتصوراته، فقد صورها الشاعر حسين أبو زهراء بقوله:

بَرَحَ الْخَفَا مِنَ الْحَقِ فِيه خَفَا *** وتَوَالَتِ الآيَاتُ والأنباءُ

والشَّمسُ فِي أَوَجِ الْعُلا مِنْ مَغْرِبٍ *** بُهِرتْ عَلَيْها هَيْبَةٌ وَبَهاءُ

[1]- الحركة الفكرية في المهدية، محمد إبراهيم أبو سليم، الخرطوم – قسم التأليف والنشر – جامعة الخرطوم 1977م، ص: 50

[2]- الشعر السوداني في المعارك السياسية، محمد محمد علي، ص: 139.

إلى قوله:

وَسَقتُه مِنَ خَمرِ الْهوىَ بِعِيوُنِها ***وَلَمَى ثُغُور شِفَاهِها لِمْياء

بالآيةِ الكُبرى التّي بِظُهُورِها *** كَمُلَ الّرضا وانْجَابَتِ الأسواء([1])

هنا الطبيعة تنطق وتقول ها هو المهدي المنتظر قد جاء، وتعانق بعضها طرباً وحبوراً بقدوم هذا الفارس المنتظر، نرى هنا مذاقاً جديداً في الشعر العربي في السودان حيث تتحرك الطبيعة، ويتمايل الكون نشوة وعشقاً، وقد أتت هذه الصورة التي صورها الشاعر متناسقة، ذلك لأن الشاعر كان مبهوراً بقدوم الآية الكبرى ([2]).

وهنالك شعراء ضمن شعرهم بعض تعاليم المهدي، يقول الشيخ إبراهيم شريف الدولابي:

لَاَ زال فِي كَنَفِ الْعِنَاية يغتَذي *** بِدقَائِقِ التَّبصِيرِ والتَّنْويرِ

حَتَّى انتهى لِمقَامِه الأَعْلَى الَذي *** عَنْهُ النّهى فِي حِيرةٍ وقُصُورِ

وَأقامهُ المُخْتار عَنْه خَليفة *** خُلعِتْ عِليه مَلابسٌ مَنْ نُور

وَرَقَى إلى كُرْسِيهِ مُتَسَنما *** في مَشهدٍ بالأولياءِ مَعْمُور([3])

يقول الشاعر واستنادا لما قاله المهدي في منشوراته: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أقام المهدي خليفة عنه فخلعت عليه ملابس من نور زادته جلالاً على جلال، فصعد في شهود من الأولياء إلى مكانه المختار ليكون خليفة المسلمين يحكمهم بالشريعة الإسلامية، وهكذا أوجد شعر المهدية موضوعات جديدة وتعاليم ذات مفاهيم تعبر عن فكر جديد، وقد كان الشعر قبل ذلك شطحات تهويمات.

---

[1]- شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص:8,7.

[2]- الشعر السوداني في المعارك السياسية، محمد محمد علي، ص: 145.

[3]- شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص:28.

أيضاً تناول هذا الشعر دحض حجج العلماء الذين كتبوا رسائلهم في مقارعة المهدي مخاطباً الناس بأن قدوم المهدي حقيقة واقعة، وأن من أنكر هذه الحقيقة فإنه ماكر، أتوا بسجع ركيك لا يعبر عن فكر أصيل، وكيف له أن يخوض حقيقة لا يعرفون أسرارها.

وأيقن بأن الله خلق عبده *** ولا تتبع قوم الغباوة والمكر

ولا تكترث بالزور منهم فقد أتوا *** بسجع ركيك لا يقرر بالفكر([1])

كذلك تناول الشعراء الجهاد ووصفوا المعارك، الشاعر عمر البنا نظم قصيدة تحث الأنصار على الجهاد:

الحَرْبُ صَبْرٌ واللقاءُ ثَبَاتُ *** والمُوتُ فِي شَأنِ الإله حَيَاةُ

والجُبْنُ عَارٌ والشّجاعة هَيبةٌ *** للمَرءِ مَا اقْترنَتْ بِهَا العَزَمَاتُ

والصّبْرُ عِنْد البأسِ مَكْرَمةٌ ــ *** وَمَقْدامُ الرجالِ تَهَابهُ الوَقَعَاتُ

ثم يصف الأنصار وقوتهم وشجاعتهم بقوله:

قَوْمٌ إذا حَمِيَ الوَطيسُ رأيْتُهم *** شُمِّ الجِباه وللضّعيفِ حُمَاةُ( [2])

ويصف خيلهم وركوبهم إلى المعركة لا يهابون في صورة قوية أخاذة:

رَكِبُوا الْجِيادَ وغَادَرُوا شِلو العِدَى *** زِرْقَ النُّسُورِ ولَحْمَهُم أَقْوَاتُ

والخَيْلُ تَرقُصُ بِالكُمَاةِ كَأَنَها *** تَخْتَالُ فِي مِيدْانِها فِتْيَاتُ([3])

الجديد في هذه الأبيات أنها أدخلت عنصر الحماس والدعوة إلى الجهاد وجعلته ينبض بالحياة، كما نجد لأول مرة ثورة السخط على الفساد:

فَانْهَض إلى الخُرطُومِ إن بِسُوحِه *** أَهل الغِوايَةَ والمَفَاسِدِ بَاتُ([4])

---

[1]- مخطوط أشعار المهدية (الخرطوم، دار الوثائق المركزية)، ص: 181.

[2]لشعر الحديث في السودان ، إبراهيم الشوش ، ص : 30

[3]- شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص: 275.

[4]- السابق ص: 275.

الشاعر هنا ليس واصفاً فقط وإنما هو يشخص الداء ليتم الدواء، وهذه الظاهرة لم تكن موجودة قبل ذلك في الشعر، ولتكن ثورة على السخط كما قال الدكتور محمد إبراهيم الشوش([1])، وصورة أخرى تضاف إلى الشعر في المهدية، هي تصور الشعراء لقوة غيبة تدافع عن المهدي وتنصره، يقول محمد أحمد هاشم:

جَمِيعُ أَهْلِ الله نَاصِرةً لهُ *** مِنْ عَهْدِ آدمَ دائماً أحضَارا

وكَفَاكَ عِزْرَائِيلُ حَامِلَ رَايَةٍ *** مِنْ نُورِ مَوْلاُه قَضَتْ أدْمَارا([2])

وقد تابع هؤلاء الشعراء المهدي في انتصاراته وتصوراته ومعتقداته إلى أن فارق الحياة، وعندئذ فقد رثاه شعراء كثيرون أمثال الشيخ إبراهيم الدولابي، والشيخ محمد طاهر المجذوب، وقد تميز الرثاء بالحسرة والألم، يقول الطاهر المجذوب:

غَدَاةَ نَعَىَ النّاعُونَ مَهْدِينَا الذي *** بِهِ مِلّةٌ الإسلامِ جُلَ مُصَابِهَا

إِمَامُ الهُدىَ أَفْضَلَ مَنْ دَعَا *** إلى الله مِفْتَاحُ النَّجَاحِ وبَابِها

الَا قَدْ أَصَابْنَا إذ عَدِمْنَا حَبِيَبنَا *** وَضَاقتْ بِنَا الأَرْضُ الوَسِيّعُ رِحَابِهَا

فَقّدْنَاكَ يَا هَدّيَا يَتَمْنَا بِفَقْدِهِ *** فَقَدْنَاكَ يَا شَمْسَاً دَهَانَا غِيَابَهَا

ولكن كان موت المهدي مصيبة كبرى أصابت المجتمع، وقد ضاقت الأرض بفقده، فبكاه الدين وملة الإسلام، فبفقده يتم الناس، ومن بعده غابت الشمس وعاش الناس في ظلام دامس، وبعد هذه الحسرة يقبل الشاعر على خلفاء المهدي معزياً لهم ومواسياً لهم في مصيبتهم:

[1]- الشعر الحديث في السودان، محمد إبراهيم الشوش، ص: 31.
[2]- مخطوطة أشعار المهدية، ص: 411.

عَزَاءُ إِلَى الصِدِيّق نَائِبَهُ *** بِهِ المِلَةُ الْغَرَاءُ شَدَا اِنْتِصَارَهَا

عَزَاءُ إِلَى الفَارُوقْ مَنْ كَانَ دَأَبَهُ *** لدَى نِعَمُ الدُنْيَا الغَرُورُ اِجْتَنَابَهَا

عَزَاءُ إِلَى الكَرَار النَاصِرُ الَذي *** لَدَيهِ يُهَابُ البَاتِرَاتُ أَذَابَهَا[1]

تلاحظ الدارسة في هذه النماذج أن معاني الرثاء تختلف من معانيه في عهد الفونج وعن العهد التركي، حيث تدور المعاني حول المهدي وخلفائه باعتباره قائد الأمة الإسلامية، فالمهدي لم يفقده السودان فقط، بل يفقده الدين الحنيف وملة الإسلام كلها، فأصبح الشعر يعبر عن قيادة قومية، اتسع معها رحاب الشعر.

هنالك شعراء ناصروا المهدي من أجل الوطن، وكانت لهم آمال تطلعوا إلى تحقيقها، ولكنهم سرعان ما اصطدموا بالحقيقة التي لم يتوقعها الكثيرون، فالمهدي قد قلد أغلب مناصب الدولة للولاء، الجهلاء الذين لم يكونوا على قدر من الثقافة والوعي، وفي رأيهم أن المهدية بهذا المنحنى تكون قد انحرفت عن (منهجها) الذي وضعه المهدي فلابد من ثورة ضد هذا الانحراف، يقول أحمد حسين الزهراء:

عُلَمَاء أمةُ أحمد ناشدتُكم *** رُدُوا جَوابِي إنكُمْ عُلَمَاء

أَرْضَى وتَرضَون الضَّلالَ بَعِيَدهَا *** ظَهَر الهُدَى واَنْجَابَ عِنْدَ قِذَاء

يَخِيبُ ظَنْيِ فِيّكُمْ وَعَشُيّرَتِي *** أَنْتُمْ وتقْمَعُ جَمْعَنَا الغُرَبَاء

وَنَكُونْ دُوُنْ الدُوَلِ مِنْ بَيّنْ الَورَىَ *** كِلْتَا يَدَيّ إِحْسانّنَا خُرَفَاء

رُدُوُا عَلَىَ أَعِنْدَكُم مِنْ شَامِتٍ *** لَكِنْ أَجِيبُوُا فَالْجَوَابُ شِفَاء[2]

[1]- شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص: 39.
[2]-المرجع السابق، ص: 9.

يظهر في الشعر عنصر الحوار والمنطق والإقناع، ونقد الولاة من أجل الإصلاح، كاشفاً مساوئ هؤلاء الجهلاء:

جَهْلُ الوُلاَةُ أَمَاتَ دِيّنَ مُحَمْدِ *** وَأَهْلِيه مَاتُوا وَهُمْ أَحّيَاء

وَتَرَاكَمَتْ ظُلُمَاتُهُمْ بَيْنَ الوَرَىَ *** لَمَا اطْمَأنّ لَهُمْ وَدَامْ وَلَاَء

مَا بِي اِسْتَهَانُوا بَلْ بِشَرْعِ مُحَمْدِ *** فَعِلّمُه مِنْ أَثَرْ الدَمَارُ حَيَاء

وَاشْرِطْ عَلَيّهِمُ مَاَ أَرَدْتَ مِنَ الهُدَى *** يَعْطُوُا العُهُودَ لأنّهُمْ اُمَنَاء([1])

فالشاعر هنا يتناول قضية الجماهير ويعبر عنها أصدق تعبير.

وتَرَاكَمْت ظُلَمَاتْهُم بَينْ الوَرَىَ *** لَمَا اطَمَأنَ لَهُم ودَامَ وُلَاء

القصيدة مرتبكة البناء والوزن، ومليئة بالسفسطة والتكرار، ولعل الشعراء كانوا يحسبون التطويل ميزة للشاعر المجيد، بيد أن عناصر السخط والشعور بالمرارة لم تظهر واضحة فيها.

ثم أن الشاعر يحث المهدي على الاعتماد على العلماء وحدهم لمعرفتهم بالشرع وقوانينه:

فَتَنَاوَلَتُهُ مِنَ اللِئَامُ وَأَعطِهِ *** صَنْفُ الكِرَامْ فَأَهْلِهِ العُلَمَاء

وَاَشّرِطْ عَلَيّهُم مَاَ أَرَدّتَ مِنَ الهُدَى *** يَعْطُوُا العُهُودَ لأنّهُمْ أُمَنَاء([2])

[1]- شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص: 10

[2]- نفثات اليراع في الأدب والاجتماع، محمد عبدالرحيم، ص: 93.

تناول الشعر أيضاً الأحداث التي أعقبت موت المهدي، بعد أن تولى عبدالله التعايشي الخلافة، فتوالت الأحداث، من خلاف ومجاعة وصراع داخلي في الحكم، فكان على الشعر أن يواكب الأحداث الكبار والمآسي الجسام، وإشادة بانتصارات القائد حمدان أبي عنجة والزاكي طمل، يقول محمد طاهر المجذوب في قصيدة نظمها حين علم الخليفة أن جيشاً إنجليزياً يتقدم نحو سواكن ليهاجم عثمان دقنة:

هَنْدُوبُ تَعْرِفُ صَبْرَنَا *** كَيْفَ ارْتَكَبْنَاَ للمَصَاعِب

وهَشَيمُ تَشَهُد عَزْمَنَا *** كَيْفَ أدْرَعَنْاَ للمَصَائِب

جَيْشَاً يَرِنُ سِلاَحُهُ *** كالرْعد إذ مَا المُزنِ صَائِب([1])

ونستطيع أن نقول إن الشعر في عهد المهدية استطاع أن يعبر عن قضايا معاصرة تمس حياة الناس، فظهرت فيه الاتجاهات الفكرية والسياسية التي تعبر عن وجهة نظر الأفراد والجماعات تجاه وطنهم ومستقبل بلادهم ومصيرها، أخذ الشعر يموج ويصخب ويزأر وتتدفق فيه الحياة ([2])، لكن سرعان ما خمدت هذه الانتفاضة بعد وفاة المهدي.

ومن السمات البارزة لهذا الشعر ظهور أسلوب الجدل وإقامة البرهان والحجة، وامتاز بعنصر الخيال، ومن سماته أيضاً أن بعض نماذجه مفعمة بالعاطفة الحارة، ويمكن أن نعتبر أن الصدق الفني وأسلوب الجدل وإقامة الحجة وعنصر الخيال من أهم سمات التطور الفني الذي طرأ على الثورة المهدية.

[1]- الشعر الحديث في السودان، محمد إبراهيم الشوش، ص: 32.
[2]- المرجع نفسه، ص: 33.

## الفصل الثالث

## المبحث الأول

## ظاهرة الغربة في الشعر السوداني:

عرف السودانيون الهجرة، التي لم يكن دافعها اقتصادي أو سياسي، فهي مقصورة على فئات معينة كالطلاب والدبلوماسيين، انظر إلى القول: (بدأت الهجرة الخارجية في السودان منذ السبعينات وأصبحت ظاهرة ملفتة للنظر في المجتمع السوداني وتعتبر ظاهرة جديدة ومتزايدة في معدلات متصاعدة، إذ أن الهجرات الخارجية المؤقتة كانت محصورة في فئات معينة من الدارسين في الخارج ممن ارتبط أمر اغترابهم عن الوطن بأمر الدراسة، وشملت الهجرات الخارجية كذلك المنتدبين، ومن عامة الشعب شملت بعضاً من أهل الريف لمزارعين في الولايات الشمالية الذين كانت تضيق بهم مزارعهم، فكانوا يتوجهون إلى الدول العربية كمصر والسعودية وليبيا والكويت، وقد كانت هذه الهجرات تتميز بقصر فتراتها وشملت الهجرات أيضا مجموعة الدبلوماسيين والعاملين بالسفارات السودانية، أما معظم أبناء الوطن من الموظفين فقد كانت تقعد بهم عن التفكير في الاغتراب مغريات الوظيفة وانتظار الترقيات، كما نجد التجار وأصحاب المهن كانوا يجدون في عائداتهم المادية ما يغنيهم عن محن الاغتراب ومعاناة الغربة، وهذا النوع من الاغتراب لم يكن مرتبطاً بأسباب سياسية معينة ولا بدافع اقتصادي طارد ولا بمؤثرات سيكولوجية جاذبة، فمن هذه الناحية لم يكن هذا النوع من الاغتراب ما يتبعه من إعلان العائدين عن أنفسهم، يغير المقيمين ويدفعهم للاغتراب كما أن إقتصاديات العائدين ومدخراتهم لم تكن تشجع المقيمين على حذو حذوهم والتفكير في الاغتراب من أجل تحسين أوضاعهم الاقتصادية. إما الهجرة لدوافع سياسية فلم تكن معروفة في العرف السياسي

السوداني ولم تشهد الساحة السياسية ظاهرة النفي السياسي إلى الخارج ولا اللجوء السياسي حتى نهاية الستينيات من القرن الماضي، حيث ظهرت موجة من الهجرة الخارجية المدفوعة باعتبارات سياسية فخرجت جماعات حزبية معارضة لنظام مايو، احتفظت باتجاهاتها السياسية دون أن يطرأ عليها تغيير كبير في مهجرها[1].

**أسباب الهجرة قد تكون لعدة أسباب من بينها:**

1. العامل الاقتصادي
2. الدافع النفسي.

ثم ازدادت الهجرة بسبب العامل الاقتصادي والدافع النفسي، لذا صارت الهجرة ضرورة لظروف اقتصادية واجتماعية، انظر القول: (ولكن منذ منتصف السبعينيات اتخذت ظاهرة الاغتراب منحى جديداً في خصائصها، وحجمها وتواترها لدرجة أنها بدأت تشكل هماً وطنياً في كثير من جوانبها فانسحبت على كافة القطاعات السكانية فظهرت انعكاساتها السلبية على المجتمع في بعض المواقع الإنتاجية في القطاعين الزراعي والصناعي وحدث نقص في القطاع الخدمي والصحي والتعليمي نتيجة لاغتراب أعداد كبيرة من هذه القطاعات)[2].

---

[1] - WWW.CANDY-ONLINE – NET / VB / Show thread bht? T = 1156 ، اغتراب السودانيين ، حقائق وأرقام (المحسي) .

[2] . www.candy.online.net.vb.showline.bht?=T1156 ، اغتراب السودانيين حقائق وارقام (المحسي ) .

## المبحث الثاني

## ظاهرة الحنين في السودان

الهجرة عن الأوطان قديمة قدم الإنسان على الأرض، فقد هاجر سيدنا إبراهيم إلى مكة بأمر من ربه، قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [1]، وسيدنا يوسف بعد أن نزغ الشيطان بينه وبين إخوته، قال تعالى: { وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } 2.

ومن الأنبياء من عاش في مصر، منهم موسى عليه السلام عندما رفض قومه الصبر على طعام واحد وقال لهم ربهم: { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ } [3].

وهجرة سيدنا محمد صل الله عليه وسلم كانت هي الأهم حيث أخرجه المشركون من أهله من مكة فترك وطنه إلى وطن آخر هي المدينة المنورة.

---

[1] سورة البقرة - الآية 126
[2] سورة يوسف – الآية 100
[3] سورة البقرة – الآية 61

وقد تكون الهجرة والترحال لأسباب كثيرة منها من هاجر في سبيل الله، ومنهم من هاجر إلى دنيا يصيبها أو إلى إمراة ينحكها، فقد هاجر الناس إلى بلدان كثيرة تجاراً وعمالاً وشعراء وطلاب وعلماء وشيوخا ... واستقروا في مدنها وقراها، فمنهم من طاب له العيش فيها وبعضهم من رجع إلى دياره. وإذا أردنا أن نخوض في هذه الظاهرة وأثرها في الشعر السوداني، لابد أن نؤكد أن الشعر السوداني لم يكن شعراً عربياً فصيحاً إلا بعد دخول العرب السودان حيث تعتبر اللغة العربية لغة التعبير والإفصاح (وتطور اللغة العربية في هذه البلاد وإن كان مختلفاً بعض الشيء عن بلاد المشرق العربي، إلا أنه مساير لها في جميع أطوارها)[1]، وكان دخول اللغة العربية على السودان قد سبق الدين الإسلامي، فهذا السودان الأفريقي قد عرف العروبة عن طريق التجارة فبدأت الكلمة العربية تكوين نواة الشعر السوداني.

ويذكرنا قول الشاعر صلاح عبد القادر في قوله :

وأنا بن وادي النِيلِ لَو فَتشتَنِي *** تَجدِين فِي بَلدِي بَأسَ أسُودِ

تَجدينَ مَجْمُوع الَفضِيلَة والنُهَى *** تَجدِينَ حِلْمُ البِيّضَ جَهّلُ السُوّدِ(2)

قامت الممالك الثلاثة في السودان وتحولت من المسيحية إلى الإسلام وقد حدث هذا التمازج التاريخي بينهم وبين العرب، والمعروف أن اللغة العربية لم تكن اللغة الفصيحة المعروفة فكانت كل قبيلة تحمل لغتها معها ولم تتوحد إلا بعد دخول الإسلام، فقصيدة الشعر العربي في السودان بدأت شعبياً أو عامية لا تخضع للغة الفصحى (ولعل الحياة التي أنتجت الشعر العربي آنذاك ما هي إلا شبيه للحياة العربية في جزيرتها الأم، والدليل على ذلك سرعة الانسجام والتأقلم الذي جاء يبحث عنه النازح العربي خارج جزيرتهم فوجدها في السودان وبدأ ينظم شعره في ذكرياته

[1] أصول الشعر السوداني – عبد الهادي الصديق – دار جامعة الخرطوم للنشر – الطبعة الثانية أكتوبر 1989م – ص 48

[5] مختارات من الأدب السوداني ، الطبعة الأولي ، الخرطوم ، دار التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم، ص61.

وحنينه الطاغي إلى الجزيرة)[1]، وفي رحلة البحث عن ماهية الشعر العربي في السودان نقرأ كلمة محمد النويهي التي يقول فيها: (وثاني ما ينبغي أن نذكره هو أنه إذا كان السودانيين نتاجاً من امتزاج العنصرين العربي والأفريقي فلا ننسى أن العنصر العربي كان هو الظافر ...)[2]

وبهذه الثانية يتأثر الشعر السوداني ويصبح في تاريخه محاولة للبحث عن ذاتيته وانهماك في تناقضاته المحلية.

وظلت المنطقة الوسطى نزاع بين القطبين إسلامي عربي شمالي، وزنجي جنوبي وهي المنطقة التي أنتجت الشعر العربي في السودان، فظهرت في الشعر السوداني ظاهرة الحنين إلى الأقاليم فلا يخلو ديوان شاعر من وطن صغير عبارة عن قرية صغيرة يحن إليها هذه النزعة ليست إلا تأكيدا لذاتية الإقليم المنتج في وجه الوسط المستهلك، عندما يتحرر الشاعر من ذلك الإقليم بحثاً عن عمل يشعر باغترابه وحنينه فتأخذ هذه الغربة مكانها من الصراع، فالحنين عصارة للمكونات الوجدانية التي هي انعكاس من البدائية التي يعاني منها الشاعر، فالأصول المكانية تستغيظ حينئذ في شكل حنين له عمقه الحضاري من إحساس بالذات والتفرد لدى قوميات لها مكوناتها المترسبة، وكلما تعمقت نظرة الشاعر لإقليمه ووفائه له، ارتفعت قيمة الحنين في شعره إلى درجة فنية عالية، والشاعر: صلاح أحمد إبراهيم وهو يخاطب أهله في قصيدة يقول فيها:

إِنْبَهَمتْ مَسَالِكُ الْحَنِينْ
لَمْ يَعُدْ لِطفلَةٍ تَركْتُهَا وأَمْ
ولا لِرفْقَةٍ يُضَرَجوُنَ مِفرَقْ الطَرِيقْ دَمْ
ولا إلى ضفيرتين اَسْتَرِيحُ فِيهِمَا
صَارْ الْحِنينُ غَائِماً جَزِيرَةُ عَلَى البِحَارُ نَائِمَة[3]

[1] مختارات من الأدب السوداني ، الطبعة الأولي ، الخرطوم ، دار التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم، ص 62
[2] - الاتجاهات الشعرية في السودان – محمد النويهي -1985م ص 16-20
[3] - مختارات من الأدب السوداني ، الطبعة الأولي ، الخرطوم ، دار التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم 1975م، ص 102.

ويصل هذا الشاعر بالحنين إلى قمة شاهقة من التعبير الفني المؤثر حين يقول:

فِي وَحْشةِ المَنْفَى تَحَسّسْتُ الثِّيَابْ

ونُحْتٌ مُشْتَاقَاً إلى أصْوَاتِكُم وبَكَيْتْ

واسْتَغفَرتٌ حُبَكَ يا أَمَانْ

اليَومَ أَقْبِضُ كُلَ ذَرِاتُ الحَنَانْ

بِلَحظَةٍ مَرتْ وفِي هَذَا الشُّرُوقْ

وكُلْ مَا تَنْفكُ عَنْهُ شَرَانِقُ الزَّمْنِ الوَهُوبْ [1]

تجربة صلاح أحمد إبراهيم وهو يخاطب زميله الأفريقي عبد الله الصومالي، وإخوته في الغربة ما هي إلا انفعالات شخصية فجرتها ظروف الشاعر وهو جزء من ظاهرة الحنين، يقول:

رَأوْكَ فَهَبُوُا خَلْفَكُ بِالزَفَة
عَبْدٌ أسْوَد
عَبْدٌ أسْوَد
عَبْدٌ أَسْوَد
هَلْ يَوْماً ذُقْتَ الجُوُعَ مْعَ الغُربَة
والنَومَ عَلَى الأرضِ الرَطِبَة
الأرضُ العَاريةُ الصَلِبَة

وغير هذا الكثير من الشعر السوداني مما لا نجده في بقية البلدان العربية، انظر إلى قول محمد أحمد المحجوب: (إن عرق الشعر حي نابض في قلب كل

[1] مختارات من الأدب السوداني ، الطبعة الأولي ، الخرطوم ، دار التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم 1975م، ص 105.

سوداني فذلك الراعي الذي يضرب مزماره في الفلوات، وفي الليالي القمرا فيرجع الفضاء نغماته، والذي طالما أثار النفوس لاعج الشوق والحنين وأعاد إليها ذكر غرام انقضى وعهد دثر، وليل على الشاعرية المتمكنة في النفوس) .1

يقول محمد المكي إبراهيم معبراً عن وجدان الأمة ويعكس ما يدور في وجدانه من ترسبات تثيرها حالات اليأس والرجاء والتطلع:

هَذَا عَصِيرُ الشّمْسُ فَوُقَ جَبْهَتِي

هَذَا كِسَاءُ أُمَتِي

هَذَا أنَا وَقَبْلَ عَامَينَ كَنْتُ

وَبَعْدَ ألفَ عَامٍ أكُونُ

وقد يكون على الذات الأفريقية في شكل نزوع أو امتزاج يستغيظ في وجدان الشاعر كالحنين إلى عصور البراءة والنقاء والتغني بأماكن البراءة، ومن أمثلة ذلك قول محمد المهدي المجذوب:

وَأَرْضَانِي الجَنُوبُ فَمَا أُبَالِي *** بِمَنْ يَصمُ العُرَاةُ وَمَنْ يَلُومُ

هُمُ عَشِقُوا الحَيَاةُ فَعَاشْرَتُهُم *** كَمَا تَبْغَي المَشَاعِرُ لَا الحَلُومُ

وَلَيّتَنِي فِي الزُنُوجُ وَلِي رَبَابُ *** تَمِيلُ بِهِ الخُطَايَا وَتستَقِيمُ

أُجَمِشُةُ فَيَجْفَلُ وَهَوَ يَشْكُو *** كَمَا يَشْكُو مِنَ الحُمّىَ السّلِيمُ

وَفِي حِقْوِي مِنْ خَرَزِ خُزَامِ *** وَفِي صَدَفِي وَمِنْ وَدَعِ نَظِيمُ

وَأَجْتَرِعُ المَرِيسةَ فِي الحَوَاني *** وَأَهْزَرُ لَا أُلَامُ ولَا أَلُومُ

طَلِيقُ لَا تَقيدُنِي قُرَيْشُ *** بأحْسَابِ الكِرَامِ ولَا تَمِيمُ

[1] محمد أحمد محجوب – الحركة الفكرية في السودان أين تتجه 1934م ص 24.

من مظاهر الشعر في السودان الحنين للوطن، وقد يحن الشاعر إلى بلاد زارها في الوطن نفسه والشاعر السوداني يألف المكان الذي يعيش فيه، ويحزن أعمق الحزن على فراقه، والملاحظ أنه يعرف الغربة ولا يعرف الاغتراب وأنه يحس بالمكان أكثر من الزمان وهذا أكبر دليل على ارتباطه الأصيل بالوطن، ومما يدل على ذلك تدفقه بالحنين تدفقاً حين يسافر إلى بلد غربي وحين يصدم لونه الناس، وحين يريد الاندماج مع هذا المجتمع عن طريق الزواج منه، ومن الشعراء الذين تدفقوا بالحنين إلى الوطن من لندن، الشاعر مصطفى عوض الكريم لقد كان من الذين التقطوا له على البعد أكثر من صورة ذكية، وكان أقصى ما يعذبه أن يموت بعيداً عن وطنه على نحو قوله مثلاً متذكراً قريته المسماة "كرمة".

وكذلك فعل الدكتور عبد الله الطيب وكثيرون ما كادوا يبتعدون عن الوطن حتى صرخوا ذاكرين ملتقى النيلين، والسواقي والنسيم وحتى شوك "السيال"،[1] ومن الملاحظ بصفة عامة أن حنينهم كان طاغياً في المجتمعات التي تؤكد على التفرقة العنصرية كالمجتمع الإنجليزي والأمريكي، بعكس الذين سافروا كالدكتور محي الدين صابر إلي فرنسا، منهم يتعاطفون مع المجتمع الفرنسي، وإذا حنوا إلى بلادهم يكون حنينهم معقولاً، أما حنينهم في مصر إلى بلادهم فهو في كثير منه شعور صور وتقدير واقع ليس وراءه الحزن الضاغط والألم المرير، بل ما أكثر ما حنوا إلى مصر وهم في السودان، وفي الوقت نفسه انعدام روح الحنين المشبوب إلى عالم عربي نقي وعلى الصورة المثلى التي كان بعض الشعراء يحبون أن يروا عليها هذا العالم.

[1]- ديوان أصداء النيل ( د . ت ) الدكتور عبد الله الطيب ، دار المعارف ، القاهرة ، ص133 .

## المبحث الثالث

## من عوامل ظاهرة الاغتراب :

**هنالك عدة عوامل ساعدت على هذه الظاهرة منها:**

**1/ العامل الاقتصادي:**

قد تعرضت البلاد إلى كوارث الجفاف والتصحر في عام 1983م، والسيول والفيضانات في عام 1988م، وحرب الجنوب، كل هذه المؤشرات أدت إلى تصاعد أعداد المغتربين بعد منتصف السبعينيات، فكانت ضمن الأسباب التي أدت إلى نكوص المغتربين عن العودة إلى الوطن، وإطالة أمد اغترابهم مما أدى إلى ظهور جيل من أبناء الجاليات السودانية المغتربة.

**2/ الدافع النفسي:**

بدأ يلوح في أفق المجتمع السوداني وخاصة في المدن حيث ساد نمط جديد من الاستهلاك الترفي، والانفتاح المظهري، فقد ظهر في السودان بعض رجال المال الناجحين الذين كونوا ثرواتهم من خلال عملهم بالخارج، ولقد ظهرت مع كل ذلك أنماط من السلع التفاخرية والمساكن الفاخرة والسيارات الفارهة والتي أصبحت حلماً لمعظم الشباب المتطلعين للالتحاق بركب المترفين، وأصبح هاجساً يؤرق الشباب ودافعاً نفسياً واجتماعياً يثيرهم ويدفعهم إلى التفكير في الاغتراب، وفى ثمانينات القرن الماضي أصبح الاغتراب ضرورة مع تغير الظروف الاقتصادية في السودان نحو الأسوأ فانعكست أثارها على المغتربين الذين لم تعد مدخراتهم قادرة على مواكبة الزيادات الهائلة في أسعار السلع الضرورية، ومن هنا بدأ الضغط الاقتصادي يلعب دوره في دفع الشباب نحو الهجرة والاغتراب وإجبار المغتربين منهم على البقاء في مهاجرهم.[1]

[1] www-sudanose-online-com-cyi-bin-sdl/266/cig?msg - الادب السوداني لحديث تداعيات الهجرة والاغتراب (مبارك السروجي)

إن تمدد فترة الاغتراب في الثمانينات والتسعينات إلى ما يزيد عن عدد أولئك السودانيين الذين ظلوا في مواقع اغترابهم أدى إلى نشوء جيل جديد من النشء الذين ولدوا وتربوا خارج وطنهم وتشربوا بقيم الاغتراب.

أثر الهجرة والاغتراب على الأدب السوداني:

كان للهجرة والاغتراب تأثيرات على الإنسان السوداني وعلى الأدب السوداني وعلى مواضيعه التي تناولها وهذا نلمسه في القول الآتي: (تأثر الأدب السوداني خصوصاً الأعمال الأدبية التي صدرت إبان فترة الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين بانعكاسات اجتماعية وسياسية كبيرة كانت هي السمة المميزة للإنتاج الأدبي خلال تلك الحقبة[1]، وأهم تلك التأثيرات:

الهجرة والاغتراب اللذان كان لهما تأثيرات قوية في بلورة الشكل الحالي للإنتاج الثقافي في السودان، وهى بالضرورة أتاحت المجال لطرق مواضيع جديدة على الأدب السوداني لم تكن متداولة من قبل، وبنفس القدر الذي انعكست فيه هذه المؤثرات على نفسية الإنسان السوداني العادي انعكست أيضا على الأدب والأدباء الذي يمكن بدورنا أن نسميه أدب الرفض، سياسياً كان أو اجتماعياً أو فيما يختص بالأدب السوداني فقد كان لعدم الاستقرار السياسي والنزوح والحروب الأهلية دور واضح في ظاهرة الهجرة واللجوء السياسي والاغتراب والتي أدت بدورها إلى ظهور حالة الرفض وعدم القبول للواقع بشتى أشكاله وهذا ما هو واضح في الأدب السوداني[2].

[1] www-sudanose-online-com-cyi-bin-sdl/266/cig?msg[1] - الأدب السوداني لحديث تداعيات الهجرة والاغتراب (مبارك السروجي)

2- الموقع نفسه.

ومن الشعراء السودانيين الذين تأثرت كتاباتهم وحياتهم الشخصية بالغربة وإفرازاتها على الصعيد الإبداعي والمعنوي الشاعر عبد الرحيم أحمد أبو ذكرى1 الذي يقول:

أيها الراحل في الليل وحيداً موغلا

منفردا

انتظرني ..... انتظرني

فأنا أرحل في الليل وحيداً ضائعاً

في الدهاليز القصيات انتظرني في

العتامير وفى البحر .... انتظرني[2]

[1]. عبد الرحيم أحمد أبو ذكرى : ( 1944م – 1990م شاعر وباحث في الآداب العالمية وكانت أشعاره معنية بمشكلات التقدم والتحرر الإنساني العناصر – حياته – مليئة بالكابة والعزلة والانزواء على الذات مات منتحراً ، له ديوان شعر وحيد عنوانه "الرحيل في الليل" صدر في الخرطوم 1973م عن دار النشر لجامعة الخرطوم / www-Sudanese-online-com-cyi-bin-sdl/266/cig?msg الأدب السوداني الحديث تداعيات الهجرة والاغتراب ( مبارك السروجي).

[2]. الموقع السابق.

**نماذج من شعر الحنين والغربة في السودان**

برز في السودان شعراء تجسدت فيهم خصائص الشخصية السودانية في أرقى إدراكها لحب الوطن والحنين إليه والبحث عن الذات، وهكذا عانق بعض شعراء السودان النزعة الشعرية التي سادت العالم العربي في تلك الآونة، وهؤلاء الشعراء بحكم تكوينهم العقلي والنفسي ونتيجة للظروف الاجتماعية التي كانوا يعيشونها أخذوا يتطلعون إلى عوالم بعيدة فظهر في أفق الشعر في السودان، شعر الحب وشعر الجمال وشعر الإنسانية وكل ذلك عن طريق البحث عن عالم تتوحد فيه المتناقضات المريرة وتتجسم فيه المتباينات والفروق، جاء كل ذلك كرد فعل للمعاناة التي التصقت بنفس الإنسان السوداني والحروب والثورات التي حدثت وتمثلت في الدعوات الإنسانية كحب الغير والسلام والحق والعدل والجمال كما أن هذه الأبعاد اتخذها الشاعر السوداني جسوراً يمشي عليها للخروج من سجن الظروف الاجتماعية باحثاً عن ذاته[1].

كثيراً من شعراء السودان دأبوا يبحثون عن ذواتهم في ماضي السودان وفى ماضي العرب والإسلام، وهذا ما يعرف بغربة الذات والبحث عن عوالم النفس والغور في أعماقها لاكتشاف ما يدور في خلجاتها، وهؤلاء الشعراء تأثروا بجماعة أبولو وشعراء المهجر؛ فالأدب عند ميخائيل نعيمة (يجول في أقطار النفس باحثاً عن مسالكها مستطلعاً آثارها، وما شرف الأديب إلا أنه بدأ يشاطر العالم اكتشافاته في عوالم النفس....)[2].

[1]. عبد الهادي الصديق ، اتجاهات الشعر السوداني المعاصر بعد الحرب العالمية الثانية ، بحث غير منشور ، الخرطوم ، المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون ، 1975م ، ص30 .
[2]. المغرب ( مطبعة نوفل للطباعة والنشر 1971م ) ص27 ، ميخائيل نعيمة .

وقد أكد هذه الفكرة الشاعر التجاني يوسف بشير فديوانه (إشراقة) أغلبه حديث عن نفسه، فهو يبحث عن ذاته في قصيدته (نفس)، يقول:

هِيَ تِلْكَ نَفْس فَتَى أَقَامَ بِهَا عَلَى حَرَمِ الفُنُونْ
نَفْسٌ مُوَزّعَةُ المَشَاعِرِ كُلُّهَا أَبَدَاً عُيُونْ
فِي كُلِّ رَابِيَةٌ تُنَقِبُ عَنْ سَنَا الأَملَ الدَفِينْ[1]

ويشفق التجاني على نفسه من أشطاط الظنون واستباق القرون:

اللهَ أَيَتُهَا الوَدِيعَةُ قَدُ شَطْ بِكِ الظُنـــونْ
الفَجْرُ مُلْتَهِبِ الجَوَانَبُ وَالّدُجَىَ شَرِسٌ حَرُونْ
يَتَزَاحَمانِ فِي وَلَعَ وَتَسْتَبِقُ القُرُونْ[2]

وينشب صراع عنيف بين عبد الله عشري الصديق ونفسه، فهي قد أتعبته وأنهكت جسمه وحينما يشتد الصراع لم يجد غير الرشوة لتنقذه عن عذاب له ولكنها ترفض بقوة بقول:

أَتْعَبَتْ جِسْمِيَ الهَزِيلُ وَرَاحَتْ *** تَتَنَحَيَ مِنْ مَوَاطِئِ الجَمْرِ فَرشَاَ
قُلْتُ أَرْشُوكِ أَيَتُهَا النَفْسَ عَلَى *** اَنْقِذُ الجِسْمَ مِنْ هُزَالِ تَفَشْنِي
فَأَبَتْ بَلْ تَذَمَرَتْ ثُمَ صَاحَتْ*** لَسْتُ مِنْ عُنْصُرِ النُفُوسُ[3] فَارْتَشِي[4]

يقول عبد النبي عبد القادر مرسال[5]:

أَنَا إنَ عَضَنِي الزّمَانَ بِنَابٍ*** وَدَهَانِي الزّمَانُ يَوْمَاً بِضِرْسِي

---

[1] ديوان اشراقة ، التجاني يوسف بشير ، بيروت ، دار الثقافة عام 1972م ، ص 69.
[2]. ديوان اشراقة ( بيروت : دار الثقافة 1972م ) ص69 : التجاني يوسف بشير .
[3]. المعنى غير مستقيم وله يقصد ليس من عنصر النفوس التي ترتشي.
[4]. مجلة الفجر ، المجلد الأول عدد1 ، نيوز 1932م ، ص25 .
[5]. هو شاعر سوداني ولد عام 1918م بأمدرمان تلقى تعليمه الأولى بالمدارس المصرية بالخرطوم له عدة دواوين من بينها ديوان على الطريق وديوان (مرسال) له كتابات شعرية في الصحف والمجلات المصرية والسودانية وله قصائد مسجلة بصوته في مكتبة الإذاعة .

وَبلَتَنِى الخُطُوبُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ *** وَدَهَتْنِى الكُرُوبُ مِنْ كُلِّ جِنْسِ

إِنِّ لي كالحَدِيدِ عَزْمَاً ونَفَساً *** لا تَفــلَ الخُطُــوبُ عَزْمِى ونَفِسِي

هذا البحث عن عوالم النفس في مجازفة لا تعرف المهادنة، قد يقود الشاعر إلى التلظي بالألم والإحساس بالغربة والحزن الذي قد يكلفه فقدان أنفاسه، وإلى التغني بالجمال في أرقى معانيه وبالحب في أعمق أعماقه فها هو محمد أحمد المحجوب يجعل من قلبه حصناً منيعاً محرماً ولكن لم يلبث هذا الحصن المنيع إلا وتقتحم حصونه وتندك أمام تثنيات الجمال وخطواته ودلاله وتحشمه وسموه وسحره:

ويَحَ قَلْبِي وَهَوَ فَرْدٌ *** إذ يَرَىَ الجَيشُ العَرَمْرَمْ

فِيْكَ يَا حُلو التَثَنِى *** حَيْنَما تَخْطُوُ وُتَقُدِمُ

حِيْنَمَا تُنْبِضُ فَنْاً *** فِي دَلَالٍ وتُحَشَمْ

فِي سُمو حِيْنَ تَسْمُوُ *** بَيْنَ عَيْنِي وَتَعَظُمْ

حِيْنَمَا تْقتَحِم قُدْسَ *** القَلْبُ والحِصْنُ المُحَرمْ[1]

وتبرز بعض الدراسات الأدبية، إن مصدر ألم الشاعر أحياناً قد يكون محدد المعالم مجسداً في أمور يراها فيتألم منها ويصوغها في شعره، وأحياناً أخرى يكون شيئاً مبهماً غير محدد المعالم.[2]

فالاختلاف في تحديد الألم وغموضه عند الشعراء يرجع إلى تجربتهم الشعرية، فإذا كانت التجربة رخوة سطحية فإن معالم الألم تكون واضحة، وإذا كانت

[1]. مجلة الفجر ، مجلد 3 ، عدد8 ، 26 يونيو 1937م ، ص244 .
[2]. تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان ، محمد مصطفى هدارة ، ص220 .

عنيفة ساخنة فإن الشاعر تنمحي معالم الوجود من أمامه ويفقد معالم الحياة من حوله فينطلق فى آفاق لا تحدها حدود ولا تقيدها قوانين، وهنا يغلف الشاعر الجو الذي أراد أن يهرب إليه، وقد طغت هذه الروح المستعذبة للألم على شعر شعراء المهجر فكانوا ينادون الموت ويستحثون خطوته ويعتبرونه مخلصاً لهم، وكان واضحاً فى أسماء بعض دواوينهم الشعرية مثل (تأوهات الروح) و(شعلة العذاب)[1].

فالهروب من الحياة إلى الموت فيه نوع من الغربة المكانية حيث يشعر الشاعر بأنه غريب عن الدنيا وأنه ما هو إلا ضيف، حطت به رحال الحياة هنا ليكون على استعداد لسفر أبدي، والهروب إلى الموت معناه الرجوع إلى الأصل، فالموت فيه معنى الخلود، فهو من ناحية أفضل بكثير من الحياة التي سرعان ما تنطوي صفحاتها وتفجع الراغبين فيها[2].

التجاني يوسف بشير الذي يمل البشر والطرب ويعلوه الحزن الرهيب فيعتذر لأصحابه أن يتركوه يخلو بحزنه:

ذَهَبَ البَشَر اللَعُوبُ *** وَخَلاَ الحُزْنْ الرَّهِيب

فَاعْذرونِي يَا صِحَابِي *** كَمْ نَأَىَ عَنِي حَبِيْب

أنكر عليه أصحابه فوصفهم بالفساد والراى:

أَيَّها المُنْكِرُ حُزْنِي *** فاتَكَ الرأيُ المُصِيب

ذَاَكَ تِرْيَاَقُ فُؤادِي *** كَمْ نَأَى عَنْهُ حَبْيب[3]

الإحساس بالغربة والحنين إلى الوطن نجده عند الشعراء السودانيين رغم أنهم يعيشون بين أهليهم وفى وطنهم، فالشاعر غريب في عصره بشعوره وإحساسه[4]

---

[1]. مجلة الفجر ، المجلد الأول ، عدد1 ، يونيو 1934م ، ص25 .

[2]. المرجع نفسه، ص 29 .

[3]المرجع نفسه، ص 30 .

[4]. الرومانية ( مكتبة نهضة مصر بالفجالة ) ، ص37 ، د. محمد عيني هلال.

.وهو ما يعرف بالغربة النفسية التي جعلت الشعراء يحنون إلى وطنهم السودان حنيناً تمزقه اللوعة ويخالطه الأسى والشوق رغم وجودهم فيه، فهذا يوسف مصطفى التني يشط به الشوق إلى وطنه ويشجيه إليه الحنين والتذكار حتى أنه مل الانتظار في الديار التي هو بروحه فيها لا بجسده منتظراً إطلالة نجمة الصباح:

شَطّ بِى اليْومَ عَنْ حِمِاَكَ المَزَارُ *** وشَجَانِي الحَنِيْنُ والّتِذكَار

إِيهِ يَا نَجْمَةَ الصّبَاحِ أَطِلِي *** فَقَدْ طَالَ بِي إليكِ انْتِظَار

طَالَ حَتىّ مَلّتّه فِي دِيَار *** قَدْ بَلاَنِي بِشَرِهَا المِقْدَار[1]

وهذا التجاني يوسف بشير يذوب شوقاً وتحناناً ويذرف دمعاً مدراراً حينما تحتويه الغربة النفسية:

وَيَحَ هَذَا الغَرِيبُ كَمْ ذَابَ تِحْناناً *** وكَمْ صَاغَ مِنْ دِمُوعَ دِيَارِه

يَخْلُصُ الوَجْدَ مِنْ دَمٍ كُلَهُ نُبْلُ *** وَيَضْفِى عَلَى العِبَاد إدْكَارُه[2]

لم يقتصر الشعراء على الحنين إلى وطنهم الذي اغتربوا عنه نفسياً فحسب، بل نراهم يصورون هوان أنفسهم ببعادهم عن الأرض التي أنجبتهم وهوان أمتهم أدى إلى هوانهم في غربتهم، يقول محمد أحمد المحجوب ساخراً من نفسه ومن قومه :

يَا ضَيْعَةُ الوَطَنِ الذَي أَنْصَارَهُ *** قَوْمُ يَرَوْنَ النَصرَ فَي الخُذْلاَنِ

قَوْمُ يَرَوْنَ حَيَاتِهم فِي ذُلِهِم ***وَيَرَوَنَ كُلَ الخَيْرِ فِي الأَذِعَانِ

يَتَفَاخَرُونَ بِقُرْبِهِمِ مِنْ حَاكِمِ *** وَبَدَسْهِم للفَرْدِ وَالأَوْطَانِ

هَذَا زَمَانُكِ يَا مَهَازِلَ فَامْرَحِي *** قَدْ عَدْ كَلْبُ الصَيّدِ فِي الفُرْسَانِ[3]

---

[1]. المقدار كلمة ليست فى مكانها ولعل الشاعر يقصد القدر، مصطفى التني ، ص48 .

[2]. مجلة الفجر ، المجلد الاول ، عدد4 ، 16 يوليو 1934م ، ص161 .

[3]. قصة قلب ، محمد أحمد المحجوب ( بيروت : دار الثقافة ) ص14.

وهم في غربتهم النفسية يتخيلون وطنهم ويفصلون القول في العلل التي أنهكته وجعلته عن ركب الأمم المتقدمة، ويتردى تحت وطأة الاستعمار، فهذا يوسف مصطفى التني يرجع سبب تخلفه إلى الاستعمار والذي خلق من أبناء الأمة الواحدة أحزاباً وشيعاً:

وَطَنِي تُنَازِعُهُ التَحَزُبَ وَالهَوَى *** هَذَا يَكِيدُ لَهُ وَذَاكَ طَغَى بَهَ

وَقَدْ يُعَانِي مِنْ جَفَا أَبَنَائِه *** فَوْقَ الذِي عَانَاهُ مِنْ أَغْرَابِه[1]

يوضح أن العدو قد عبث بمقدرات وطنه ويصرخ في مواطنيه أن يهبوا لنجدته، ولكنه يستدرك أن من يفعل ذلك لا بد أنه ملق الشر وليكن ذلك:

وَطَنِي يَبْعَثُ بِه العَدُوَ وَلاَ تَرَىَ *** مِنْ دَافَعَ عَنْ حَوْضِهِ وَرِحَابِه

وَإِذَا اِنْبَرَىَ لِيَزُودَ عَنْ سُوُدَانِهِ *** البَارِعْ المِقْدَامُ مِنْ كُتَّابِه

لَمَ يَعَدَمَ الشَرَ الدَخَيلَ جَمَاعَةً *** لِتُرَتِلَ الأَمْدَاحَ فِي مِحْرَابِه[2]

بكل هذا رفض الشعراء ما قبل به بعض الناس في مجتمعهم احتجاجاً على الاستعمار ومناداة للمجتمع ودعوتهم للنهوض، وقد اصطدم هذا المسلك بعقبات انعكست آثارها من نفوسهم مما جعلهم يثورون ثورة عارمة ضد المستعمر وينعون على المجتمع الجمود والاستسلام.

**من أنواع الغربة، الغربة داخل الوطن:**

ولعل أقسى صور الغربة هى الغربة داخل الوطن بسبب الظلم والاضطهاد والخوف أو الفقر والحرمان، وإن عدم الرضا بالحياة عند الشعراء السودانيين والقلق

[1]. يقصد المستعمرين .

[2] قصة قلب، محمد احمد المحجوب (بيروت ) ص 15.

أمام عالمهم وما يعج به من أحداث قد جعلهم يصرخون، ونرى هذه الصورة بوضوح حينما يصرح يوسف التني قائلاً:

يَا أُمَةً خَيَّمَ الجُمُودُ عَلَيهَا *** وَعَدَاهَا بِالنُهُوضُ وَالتَجْدِيدُ

أَمْسَهَا قَاتِمُ وَأَقْتَمَ مِنْهُ *** يَومَهَا وَالغَدِ الغَدِ النَكُودُ

لاَ قَدِيم مِنْ المَحَامِيدِ يُوحِي *** لاَ جَلِيلُ مِنْ الفَخَارُ جَدِيدُ[1]

ثم يلتمس العزاء لوطنه في الدموع التي يذرفها بكاء وتحسراً على تخلفه وروضه وخضوعه للذل والهوان يقول معبراً عن ذلك:

آهِ يَا مَوطِنِي العَزِيزُ غَرَاءً *** مِنْ الدُمُوعُ إذَا الدُمُوعُ تَفِيدُ

آهِ يَا مَوطِنِي عَزَاؤُكَ شِعْرِي *** إنْ يَكُنْ حُسْنُ العَزَاءِ قَصِيدُ[2]

عاش السودانيون في مجتمع مكون من مسلمين ومسيحيين ووثنيين، ولعل من أنواع الغربة، الغربة الدينية حيث يشعر الفرد في المجتمع بأنه معزول اجتماعياً وأنه يعيش في مجتمع غير عادل وأنه غريب عن جوهره وذاته وواقعه، لذلك فهم الشعراء السودانيون الحرية من أوسع معانيها، ذلك نتيجة لثورتهم على كل المظاهر السيئة التي يعاني منها مجتمعهم ومن بينها التعصب الديني وهم عشاق حرية كما قال شاعرهم محمد أحمد المحجوب:

فهو مثل الطيور يشدو طليقاً *** ويعاف القيود يأبى الإسارا

لا يطيق البقاء في الظلم حر *** عبقري ولا يطيق انكسارا[3]

---

[1]. تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان ، د. محمد مصطفى هداره ، جامعة الخرطوم، دار التأليف والنشر،ص210 .

[2]. ديوان التني ، ص8 ، يوسف مصطفى التني .

[3]. مختارات من الأدب السوداني ، الطبعة الأولى ( الخرطوم : دار التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم 1975م ، ص114 )

وقد كانت الدعوة إلى التسامح الديني واضحة في أشعارهم، وهم بذلك يرون أن الوحدة بين الأمة السودانية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا أتيح قدر من التسامح الديني وتوفرت حرية الرأى، وقد تأثر الشعراء السودانيون بشعراء المهجر، يقول جبران خليل جبران: (أحبك يا أخي ساجداً في جامعك راكعاً في هيكلك ومصلياً في كنيستك، فأنت وأنا أبناء دين واحد هو الروح )[1].

وهذه الصورة يقترب منها التجاني يوسف بشير بقوله:

آمَنْتُ بِالحُسْنِ بَرْدَاً *** وَالصبَابَةِ نَارَا

وَبِالكَنِيسَةِ عِقْدَاً *** مُنَضْدَاً فِي عَذَارَى

وَبِالمَسِيحِ وَمَنْ طَافَ *** حَوْلَهُ وَاسْتَجَارَا

إِيمَانَ مَنْ يَعْبُدُ الحُسْنَ *** فِي عُيُونْ النَصَّارَى[2]

فإدراك التجاني لهذا التسامح لا يقتصر معناه في عشقه للجمال على بنات بلاده المسلمات فقط، بل تعداه إلى حب النصرانيات وهى لمحة تحس فيها الوجود الإنساني المتسع الرحاب في نفس التجاني.

إن الهروب إلى عالم الطفولة واجترار الذكريات غربة وإحساس قاهر وذلك إن الإنسان يشعر بأنه غريب عن مجتمعه، فهو بذلك يهرب إلى عالم الطفولة الذي يمثل البراءة والطهر الذي ينشده، وقد تكون هذه الطفولة شقية ولكنه يستعذبها استعذابه للألم هروباً من دنيا الواقع إلى عالم الخيال، فالتجاني يحدثنا عن طفولته وهو

[1]. التجديد فى شعر المهجر ص123 ، د. محمد مصطفى هدارة .
[2]. ديوان التجاني يوسف بشير ص28 .

في (الخلوةّ) حيث أرسله أهله ليتعلم فيها، وحديثه يوحي بشقاوته وهو طفل فهو ساخط يلعن السماء وما في الأرض، وهو حانق وقد ضاقت به الحيلة:

هَبَّ مِنْ نَومِهِ يُدَغْدِغُ عَيْنَيهِ *** مُشيحاً بِوَجْهِهِ فِي الصبَاحِ

سَاخِطَاً يَلْعِنْ السّمَاء وَمَا فِي الأرْضِ *** مِنْ عَالَم وَمِنْ أشْبَاحِ

حَنَقَتْ نَفْسَهُ وَضَاقَتْ بِهِ الحِيلةُ *** وَاهْتَاجَهُ بِفَيْضِ الرَوَاحِ

طَوَفْتَ فِي خيَالِه ذِكْرَيَاتُه الرَوَعَ *** وَاعْتَادَه مُطِيفْ الجِمَاحِ[1]

وفي سعيه للخلوة كان نحيفاً، لا تستطيع رجلاه حمل جسمه إلا بمعاناة، وقد اتسخت ملابسه فخالط بياضها حبر الدواة الأسود:

وَمَشَى بَارِمَاً يَرْفَعُ رَجْلَيْهِ *** وَيَبْكِي بِقَلْبِهِ المُلتَاح

ضَمّخّتْ ثَوَبَهُ الدَوَاةُ *** وَرَوَتْ رَأْسَهُ مِنْ عَبِيرهَا الفَوَاح[2]

وهو يحدثنا عن أيامه في المعهد العلمي وما كان يلاقيه من مشاكل النحو والصرف مستغرباً تلك الذكريات:

وَدَعَتُ غَضَ شَبَابِي تَحْتَ ظِلَالِه *** وَدَفَنْتُ بِيضَ سِنِيّ فِي مِحْرَابِه

وَلَقَيْتُ مِنْ عَنَتِ الْزيُودِ مَشَاكِلاً *** وَبَكَيْتُ مَنْ عَمْرُو وَمِنْ إِعْرَابِه3

وحديث التجاني عن نفسه بهذه الصورة الحزينة ما هو إلا هروب من دنيا الواقع إلى عالم الخيال حيث يحلو له أن يكون، وهو شعور بالغربة بسبب العوامل

[1] ديوان اشراقة التجاني يوسف بشير ، دار الثقافة، 1976 م ، ص73

[2]. المرجع نفسه ص 30 .

[3]. المرجع نفسه ص 39.

النفسية الداخلية والتي هى انعكاس لما في المجتمع، ولما في جسمه من نواحي بيولوجية وفكرية معقدة وهو يحس بالغربة وعدم الانسجام مع الأنا الفردي والجمعي معاً، وهو يشعر بعدم الرضا ورفض الاتجاهات والقيم حتى أنه اتهم بالكفر والإلحاد مما أدى إلى طرده من المعهد العلمي، وقصيدته المعهد العلمي خير دليل على ذلك:

هُوَ مَعْهَدِي ولَئِنْ حَفَظْتُ صَنِيعَهُ *** فَأَنَا ابْنَ سَرْحَتِهِ الذي غَنَى بِه

حَتَى رُمِيْتُ ولَسْتُ أولَ كَوْكَبِ *** نَفَسَ الزَمَانُ عَلَيْهُ فَضَلَ شِهَابِه

قَالوُا وَأرْجَفْتْ النَفُوسُ وَأوْجَفَتْ *** هَلَعَاً وَهَاجَ وَمَاَجَ قُسُورِ غَابِه

كَفَرَ ابْنَ يُوسُفَ مِنْ شَقِي وَاعْتَدَى *** وَبَغَى ولَسْتُ بِعَابِئ أو آبِه

قَالوُا اَحْرِقُوهُ بَلْ اَصْلِبُوُه بَلْ *** اَنْسِفُوا للرِيحِ نَاجِسُ عَظْمِهِ وَأهَابِه

ولَو أنْ فَوْقَ المَوْتَ مِنْ مُتَلَمْسِ *** للمَرْءِ مُدَ إلي مِنْ أسْبَابِه

ويحدثنا محمد أحمد المحجوب عن طفولته، حديثاً يختلف عن حديث التجاني حيث لا تحس في طفولته بمأساة ولا ضجر من الحياة والناس، وإنما هو طفل يتدلل أحياناً ويلعب أحياناً ويبكي إذا طلب النجم ففشل:

تَارَةُ يَبْكِي وَطَوْرَاً يَلَعَبُ
أمَاَ تَرَاهُ لَا يُبَالِي
يَتَمْنَى يَتَرَجْىَ يَتَدَلْلُ
يَكْتُم الغَيْظَ يُظْهِرُ الحُبُ
يَطْلُبُ النَجْمَ وَيَبْكِي إنْ فَشِل[1]

[1] قصة قلب ، محمد احمد المحجوب ،( بيروت : دار الثقافة ) ط1 ، ص 14

**الهروب الي عالم الطبيعة:**

ومن أنواع الغربة الهروب إلي عالم الطبيعة، فالشعراء حينما يصفون الطبيعة لا يصفونها لذاتها وإنما يجدون فيها الملاذ والبعد عن الواقع الذي هم ضجرون منه، ويتخذون من مظاهر الطبيعة صوراً من أنفسهم، فهذا زين العابدين إبراهيم يرمز ويصور حالته بحال عصفور سجين يقول :

هَكْذَا !!! ضَمَّكَ السِجْنُ وَقَدْ *** كُنْتُ بِالأمْسِ طَلِيقَاً فِي رُبَاك

تُرْسِلُ اللَّحْنَ شَجِيَاً ثَائِرَاً *** فَوْقَ غُصْنِ أَلْبَانَ أو غُصْنُ الأرَاك

وَارَاكَ اليَوْمَ مَوْقُورُ الضَّنَا *** وَهُمُومَ الحَبْسِ قَدْ هَدّتْ قِوَاك

حَرَمُوكَ الشَمْسُ فِي وَقْتُ الضُحَى *** وَشُعَاعُ السِحْرَ عَنْ عَيْنَيّكَ هَاَج[1]

ويخاطب الشاعر العصفور بأنه لم يخلق ليحيا صامتاً وإنما خلق ليملأ الدنيا غناءً وجمالاً، ولكن هيهات فقد ضمتك غياهب السجون:

أَنْتَ لَمْ تُخْلَقْ لِتَحيَا صَامِتَاً *** مُسْتَكِينَاً فِي غَيَابَاتِ السُجُون

بَلْ لِتَحْيَا فِي فَضَاءِ شَاسِعِ *** وَتَكُنْ كَيْفَ نَرْضَى أنْ تَكُون

وَتَغَنَى فَوْقَ أمْوَاجِ الصِبَا *** بافْتِنَانِ وانْسِجَامِ وَحَنِيّن[2]

التجاني يوسف بشير يكاد يتحد مع الطبيعة اتحادًا كاملاً باعتبارها جزء لا يتجزأ عن كيانه حين يصف قطرات الندى:

قَطَرَاتِ مِنْ النَدَى رَقْرَاقَة *** يَصِفُ البِشْرَ دُونَهَا وَالطَلاَقَة

ضَمَنْتَهَا مِنْ بَهْجَة الوَرْد أطْوَافِ *** وَمِنْ زَهْرِة القُرُنْفَل بَاَقَة

نَثَرَتْ عِقْدَهَا أصَابِعِ مِنْ نُورَ *** تُرْسِلْنَ خِفَةُ وَأَنَاقَة

---

[1]. مجلة الفجر ، المجلد الثالث ، العدد11 ، أغسطس 1937م ، ص237 .

[2]. مجلة الفجر ، المجلد الأول ، العدد6 ، 16 أغسطس 1934م ، ص250.

وَمَصَابِيحَ أَسْرَجْتَهَا يَدُ الشَمْسِ *** وَضَاء فِي زَهْرِة خَفَاقَة

يَتَقَطَرْنَ أَنْجُمَاً فِي أَكَالِيَلَ *** مِنْ الزَهْرِ أسْرِجَتْ أَورَاقَه[1]

وكذلك الشاعر الهادي العمرابي أحس بجمال الطبيعة وأقام فيها ووصف مناظرها وخصائص كل منظر فيها ، فأصبح متيماً بحب الطبيعة يهيم في الأودية يلثم رمالها ويجعل فيها مضجعه ودثاره ، فتتجاوب معه في حنينه مرددة أشعاره:

كَمْ هِمْتُ فِي الوَادِي اَلْثُمُ رِمَالِه *** وَجَعَلْتُ مِنْهَا مَضْجَعِي وَدِثَارِي

حَفْتّ بِه أَشْجَارُ وَلَقَدْ بَدَا *** كَالقَوْسَ فِي لَوْنٍ مِنْ الأَزْهَارِ

صَدَحَتْ بَلَابِلُه ضُحَى كَأَنْهَا *** دَاود تَوقِيعَاً عَلَى المِزْمَارِ[2]

إن الحنين إلى الديار ضرب من الوطنية ومن أبرز ما يدفع إلى هذا الحنين الغربة، فكثيرون هم الذين أدمنوا الغربة من الشعراء السودانيين منهم من توفاه الله بعيداً عن الوطن أمثال الدكتور حسن عباس صبحي، والدكتور عبدالرحمن أبو ذكرى، ومنهم من عاد، ومنهم من يحلم بالرجوع وبالرفاق، أمثال الدكتور الزين عباس عمارة، وعالم عباس محمد نور، وفضيلي جماع، وأمير المهاجرين محمد مفتاح الفيتوري الذي كان يعاني ويلات الغربة مصارعاً المرض في دولة المغرب ممنياً نفسه بالعودة إلى أن توفاه الله يقول في ذلك:

لَوْ لَحْظَةُ مِنْ وَسَنِ

تَغْسِلُ عَنِى حُزْنِي

تَحْمِلُنِي تُرْجِعُنِى

إِلَى عُيُونَ وَطَنِي

يَا وَطَنِى[3]

[1]. مجلة الفجر المجلد الأول ، العدد 6 ، 16اغسطس 1934م ، ص251 .

[2] المرجع نفسه ن ص 237.

[3] ديوان الفيتوري / المجلد 1 ، منشورات الفيتوري - 1972م ، ص 12

إن الاغتراب عن الوطن والبعد عن الأهل والديار وذوي القربى وفراق الأحبة، يؤجج العواطف ويلهب شعور المغترب الذي رمت به أيدي النوى وهو يحس بالوحدة وألم الفراق وعذابات البيت فيلجا إلى ذكرياته لعله يجد فيها من الأنس والترويح، ويلتمس عندها الطمأنينة والسلوى وهو يقاسي آلام الغربة وجراحاتها.

**يقول الدكتور عبد الله الطيب:**

اَشَاقَ قَلْبُكَ رَوْضُ النِيلِ *** وَدُونَ ذَلِك آمَادُ بَعِيدَاتٌ

بَحْرُ خِضَمُ تَضَلُ السَارِيَاتِ بِهِ *** وَرَاءهُ مِصرَ وَالبِيدُ التَنُوفَاتٌ[1]

فبين المغترب ووطنه بحار عريضة وصحاري شاسعات فكيف له أن يرى النيل ورياضه الغناء، وقد أرقّه الحنين إلى الوطن والأهل، فذكرى الوطن والحنين إليه قد ملكت من المغترب فؤاده واستحوذت على قلبه وهو يتمنى أن يرى الوطن ويلثم ترابه كناية عن شدة الشوق لوطنه، ويقول عبد الله الطيب عن الفجاج التي تفصل بينه وبين وطنه فبلاده بعيدة المنال عن يديه، ويفصل بينهما أرض وماء فلا سبيل إلى الوصال ولكنه لا ينفك يحن إليها ويتحرق شوقاً وحباً لرؤيتها وشوقه لوادي النيل لا يبلى، وحنينه إلى أهله لا يبدده الزمان ولا ينقصه الدهر فهو حب خالد، يقول عبد الله الطيب:

إلَا أنْ وَادِي النِيلَ مِنْكِ بَعِيدُ *** وَشَوْقِك لَا يُبْلَى وَأَنْتَ عَمِيدُ

فَمِنْ مُبْلِغُ عَنِي التَحِيَة مَعْشَرَاً *** وَدَارِي فِيهِمُ ثَابِتُ وَيَزِيدُ[2]

[1]. ديوان أصداء النيل ( د . ت ) الدكتور عبد الله الطيب ، دار المعارف ، القاهرة ، ص133 .
[2] ديوان التني – يوسف مصطفى التني – مطابع دار الكتاب العربي – 1955م – القاهرة ص 128

فالمغترب مخلص رغم بعده، ومما يزيد من وفائه وعميق إخلاصه هو ما يلاقيه من عنت الحياة خارج دياره، بسبب الاختلاف في اللغة والقيم والديانة والعقيدة والسلوك، يقول الشاعر مصطفى التني:

وَدّعُ الأَهْلَ ومَا وَداعُهمُ ***عَجَبَاً للنَازِحِ النَائِي القَّرِيبُ

فإذَا ارْتَادَ المَغَانِي طَالِباً *** عِنْدَها بَعْضُ عَزَاءٍ لِطَرُوب

زَادَتَ الْبَلْوىَ بِمَا قَدْ خَالَها *** بُرءُ مَنْ يشَكُو حَنِيناً بالجَنُوُبِ

ذَكَرَتُهُ أُمْسَيَاتٍ سَلَفتْ *** عِنْدَ شَطَ النّيلِ مِنْ بَعْدِ مَغِيْب

وَحْشَةٌ لَمْ تَمْحُ مِنْ آثَارَهَا *** زَحْمَةُ السَاعِيْنَ فِي كُلِ الدّرُوُب

إِنْهُ يُنْكِرُ مِنْ أَحْوَالِهمْ *** عُجْمَةُ اللَفْظِ وتَقَدِيْسِ الصّلِيب

مِثْلَمَا قَدْ انْكَرُوا مِنْ لَوْنِهِ *** سُمْرَةٌ كالخَالِ فِي خَدِ الحَبِيْب

ضَاقَ بالُدنْيَا وضَاقَتْ عِنْدهُ *** رُقْعَةُ العَالمِ والكَونِ الرَّحِيب

فارْحَمُوا غُرْبَتَهُ عُودُوا بِه *** قَد كَفَاهُ مَا يُلاقِي مِنْ لُغُوبِ[1]

الأبيات تعكس الاضطراب النفسي والحيرة والقلق الذي يعايشه المغترب، فقد ضاقت الدنيا أمام عينيه وهو يكابد الحياة مع قوم يخالفونه اللسان والبيان والسلوك والديانة، فروحه ومشاعره غريبة عنهم، وهو بينهم من سمرة بشرته كنقطة الخال في خد الحبيب، فهو يعتز بلون بشرته ويفتخر بها وهم ينكرونها ويسخرون منها، فالمغترب يقاسي الغربة المعنوية كما يعاني من الغربة المادية ولكنه بالرغم من ذلك ظل دوماً يتذكر أهله ووطنه ويحس قربهم بروحه وإن بعد جسده فقد ملك عليه شغاف قلبه وكلما استخف به الآخرون ازداد تعلقاً به.

[1]. ديوان التني – يوسف مصطفى التني – مطابع دار الكتاب العربي – 1955م – القاهرة ص128 .

يقول إسماعيل حسن في قصيدة ( الغرباء):

مَاذَا يَقُولُ النَاسُ لَو خَلَفْتنِي *** عِنْدَ البَعِيدِ بِموْكبِ الغْرَبَاء

أشْكُو الصّبَاحُ كُلَ فَجرِْ مِثْلمَا *** اَنعَي إلَى شَفَقِ الغُرُوبِ مَسَائِي

وَاروحُ فِي دَرْبَ اللَيالّلِي هَائِمَاً *** خَلَفْتُ أَيّامُ الهَنَاء وَرَائِي

تِلْكَ الدُمُوعُ سَئِمْتَهَا وَكَرِهْتَهَا *** وَمَلْلتُ فِي التِيهِ البَعِيدُ بُكَائِي

مَزَّقْتُ أَوْتَارِي الَتِي قَدْ صُغْتَهَا *** مِنْ خَافِقِي وَرَوَيتّهَا بِدِمَائِي

فَعُدْتُ عَلى دَرْبَ الحيَاةِ مَعَالِمَاً *** لِلنَازِحِينَ إلِى السَرَابُ النَائِي[1]

**ويقول الدكتور مصطفى عوض الكريم:**

مَعَاشِرُ مِثْلَمَا شَاعْت طَبيعَةَ أرْضِهِم زَهْرُ

وَلَكِنْ بَيْنَ ضلُوعِهِم قُلُوبَاً دُونَهَا الصَخْرُ

تُرَاقِبَنِي عُيُونِهُم كَأنْ عِنْدِهُم سِرُ

وَأعْجَبَهُم سوَادُ اللْوَنَ فِى جِسْمِي فَلَمْ يَدْرُوا

فمنهم قائل : ( شَخْصُ يُغْطِى جِسْمِهُ الحِبْرُ)

ومنهم قائل : ( بَلْ سَاحِرُ غَيْبَهُ السِحُرُ )

ومنهم قائل : ( بَلُ أَبْيَضُ حَرّقَهُ الجَمْرُ )

فقلت لهم : ( مِنْ السُّوَدانُ إنْسَانُ ولَا فَخْرُ )[2]

[1]. النسل في الشعر السوداني لدكتور فتح الرحمن حسن ، 1988م ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ص152 .
[2]. المرجع نفسه .، ص153 .

وقالوا لى : ( مَا السُّودَانُ فَقُلتُ إنّهُ قَطْرُ )

وَخَطُ الِاسْتَواء جَنُوبَهُ وَشِمَالَهُ مِصّرُ

وَفِيهِ النِيلُ لَمْ يُعْرَفْ مِثْلَ بَهَائِه نَهْرُ

فَقَالُوا إنّهُ يَهْذِي ، فَمَا النِيلُ وَمَا مِصّرُ ؟

وَخَطُّ الِاسْتِوَاءِ كَذَلكِ ؟ أمْ قَالَهُ نَكْرُ[1]

وقد يواجه المغترب من مشاق وآلام تؤجج نار حنينه إلى دياره وعشيرته، فهؤلاء القوم في المهجر ينكرون سمرة لونه ويتندرون عليه في سخرية واستخفاف بل أنكروا معرفتهم بدياره ووطنه ونيله الخالد جهلاً أو عمداً فهو كمن لا وطن له ولا تراث وحينها يزداد الشوق والحنين العارم إلى الوطن والرجوع إليه يقول:

أَرْجِعُونِي قَدْ سَئِمَتُ العَيّشَ فِي ظِلِ الفَرَاغ

أَرْجِعُونِي ، طَال شَوْقِي وَحَنِيْنِي لِلِتلَاقِي

أَرْجِعُونِي لِحَبِيبِي وَ أهْلِي وَالرِفَاق

إنَ طَعْمَ العَيْشِ فِي الغُرْبَة مَذْمُومُ المَذَاق

أَرْجِعُونِي مُرَ عَيشِ وَاسْتَحَالَ العُمْرَ كَدَا

أَرْجِعُونِي لِرفَاقِي فِي رُبَا النِيل المُفَدْي

قَبْلَ أنْ تُبْنَى مَنَايَانُا عَلَى الآمَالِ سَدَا[2]

هذه الكلمات رجع صدى لنفس ذاقت لوعة الفراق، وتجرعت حنظل الغربة، والقصيدة مفعمة بصدق العاطفة والشعور لأنها تجربة ذاتية عميقة تنبض بألم الفراق

[1]. النسل في الشعر السوداني لدكتور فتح الرحمن حسن ، 1988م ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، ص154 .
[2]. حصاد التيه ، على عمر قاسم ، دار الثقافة ، بيروت ، ( د ، ت ) ص48 .

المضني وبالحنين والشوق إلى الوطن وما التكرار لكلمة أَرْجِعُونِي إلا دلالة على تأكيد اللهفة والشوق والإلحاح والإصرار على العودة إلى الديار على جناح السرعة.

وفى قصيدة أخرى قدم الشاعر عمر القاسم بطاقة هويته في ثقة وثبات يقول:

لَا تَعْرِفُنِي أنَا

أجَلْ هَذَا أنَا

ابْنَ الصَحَارِي البِكْرَ وَالغَابَات

عَلَى قَلْبِي يَفِيضُ النِيلُ شَلَّالَات

يَغْمُرُنِي رَحِيقُ الشَمْسَ كُلَ صبَاح

وَأَلْبَسُ مِنْ طَهَارَة أُمَتِي العَذرَاءُ ألفَ وِشَاح[1]

ومثله الشعراء السودانيين الذين لم يقفوا مكتوفي الأيدي حيال عقدة اللون حين يقول علي عمر قاسم:

هَلُمُوُا إليّا

اِمْسَحُوا جَبِينُكُم فِيَّا

حَجَراً أسْوَداً حَيّاً

تمِسْوُنِي ... أُطَهِركُم أُعَمِدَكُم

بِغَيْرِ حِسَاب

تعالوا يا خرافاً ضالة

ترعى سراب[2]

**ويدعم الفكرة الشاعر الطيب محمد سعيد العباسي قائلاً:**

يَا فَتَاتِي مَا لِلهَوَى بَلَدُ *** كُلَ قَلْبِ فِي الحُبْ يَبْتَرِدُ

فَلِمْاذَا أراكِ ثَائِرة *** وَعَلاَم السِبَابُ يَضْطَرَدُ

---

[1]. التيه ، على عمر قاسم ، دار الثقافة ، بيروت ، ( د ، ت ) ص48 .

[2]. المرجع نفسه، ص48.

وَالفِرَاءُ الثمِين مُتْنَفِضُ *** كَفُؤَادُ يُشْفَى بِه الجَسَدُ

ألأنّ السوَادَ يَغْمُرُنِي *** لَيْسَ لِي فيهِ يَا فَتَاةُ يَدُ

أغَرِيبُ؟ أنْ تَعْلَمِي فَأنَا *** لِي دِيَارُ فَيْحَاء وَلِى بَلَدُ[1]

ومناسبة القصيدة كما يروى الشاعر: (في ليلة من ليالي الشتاء، وفى ميدان الجيزة بمصر، رأيتها تتهادى كغصن بان تأوه، وعلى كتفيها الفراء الأبيض الجميل وعلى صدرها الصليب، أرسلت لها قبلة مع الهواء، فثارت وقالت لي : (أخرس يا أسود يا بربري، مد رجلك على قدر لحافك)[2].

الشاعر محمد المكي إبراهيم تغرب في ألمانيا وعاش الغربة والوحدة إبان دراسته الجامعية، يقول عند عودته بعد سنة من الغربة.

سَأعُودُ لَا إبلاً وثَقتُ ولَا بِكَفِي الحَصِيدُ رَوَائعَا

مُدُوا بِسَاطَ الحُبَ وَاغْتَفِرُوا الذُنُوب

وَبَارِكُوا تِلْكَ الشُهُورَ الضَائِعة

وَأمُدْ نَحوَكُم كَفِي عُرْيَانَيّنَ إلَا مِنْ مَحبَتِكُم وَعَز عُيُونكُم

مَا زَالَ سَقْفُ أبِى يَظْلُ وَلَمْ تَزَلَ أحْضَانُ أمْي

رَحْبَةُ المَثْوَى مُطَيّبَةُ الجِنَابِ[3]

**وفى قصيدة الغمائم ، يعقد مقارنة عادلة بين بلاده والمهجر فيقول:**

فِي بَلَدي تَنْسَرْحُ الدُّرُوبِ للسَما

عَلَى الرّصِيْف نَنْثُر السّلامَ أنْجُما

لَكِنهْا الطُفُولَةُ التّي هُنَا

---

[1]. العباسيات ، محمد سعيد العباسي ، ( 1999م ) ، دار البلد الخرطوم ، ص93 .

[2]. المرجع السابق ، ص92 .

[3]. الاعمال الشعرية لمحمد المكى ابراهيم ، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافي ، أمردمان السودان ، 2000م ، ص11 .

تُصيْحُ بِي (حَىَ الالَه) تَسْتَعِيذ

رِيَاحُكُم مَاسِخَةٌ عَجُوُز

فِي بَلَدِي نُعَطِرُ الَهَواءَ بالمَدِيح

رَوَائِحَ الطّعَامِ والضيّوف مِن بُيْوِتنَا تَفُوح

والجَارَةُ التّي يّرف بالشباب وجهها الصبوح

يا عطرها الشفيف ينشق النهار من شذاه

أواه لو لِمَرِة أَشُمْهُ

أَضُمُهُ

أَلْمَسُهُ

أَرَاهُ

أواه لو تُفِيُد النّازِحُ الغَرِيْب[1]

**ويقول :**

يَا وَطِن سلَمِتَ لِي

يَا ارضِ مِيعَادِي ومَحَبتّيِ

أَنَا إليهِ عَائِد

يَا مَحَطَ آمَالِي السّلام[2]

قد عشق صلاح أحمد إبراهيم السودان كما عشقه آخرون أمثال الفيتوري ومحمد المهدي المجذوب وتاج السر الحسن، وحبه للسودان جملة وتفصيلا وهو حب مبني على معرفته التامة للسودان، وفي دواوينه أدلة على معرفته الدقيقة بالسودان وكان لنشأته في أم درمان أثر واضح فالشاعر عاشق للمكان .

[1]. الأعمال الشعرية لمحمد المكي إبراهيم ، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي ، 2000م ، أمدرمان السودان ، ص56-57 .
[2]. المرجع السابق ، ص60 .

والشاعر المهاجر صلاح أحمد إبراهيم الذي احتوته الغربة منذ عهد الدراسة مروراً بالسلك الدبلوماسي ثم التشرد من منفى إلى منفى، قد غنى للوطن والغربة بالعامية الفصحى فكانت أغنية الطير المهاجر إضافة حقيقية للفن السوداني ولنقف عند قصيدة له وهى (أشواق سودانية) فيقول فيها:

أَيُزهِرُ النُوارَ مِنْ جَدِيدْ وَتُؤوبُ كُلَ مَغْرِبِ

لِلِثَرْثَرَاتِ فِي دَوْحَهَا الطُيُور

فلا أظل هكذا مشرداً تنهشني كل هموم الهجرة

من غير وحى كبرت كالسرطان في لهاثي الحسرة

كل عتادي قلمي ونشوة

وعاجزاً

مثل قصيد النقرس مردداً في حلمي واليقظة

بصوتي المبحوح شيئاً يشبه الدوبيت

يا وطني الجميل ، يا حلو الجني .. يا جذع ... يا جذور

أو آه لو بالوسع أن تصفق اليمين دون اليسرى

كنت عبرت الليل والحواجزا

عانقت فيك من جديد النجوم الأسرى

هذا جزائي غربة أتوه فيها قسرا

تقتات من أعوامي

ليس لها مغزى وليس لها مكسب

منطرحاً فوق بقايا مركب [1]

[1] وطني – الشاعر صلاح أحمد إبراهيم، دار أبنوس للنشر والتوزيع ام درمان(2007م) ، ص95.

وقصيدته (المغترب) مملوءة بالشجن الأليم والحسرة على هجرات العقول والخبرات السودانية التي اختارت الغربة وطناً لها، يقول:

مُشَبِهَاً مِنْ وَطَنِ طِيَبُتُه والْنِيلُ فائَضْ
حَامِلاً فِي رأْسِه خِبْرتَهُ
نَاقِلاً فِي قلَبْهِ طِيَبُتُه فالْقيم المُثُلى فرَائَضْ
وأمانيّ فَجْةٌ مَثْلَ حُبُوب الحَوْصلَة ونغَائضْ
شاكِراً حَظْاً جَمِيلاً أوْصلَه
ذَاِكراً أَحْبَابَه تَحْتَ ومَيضِ المَفّصلَة
مُوقِناً أنّ الإلَه
ليْس يَنْسَى التُعَسَاء رَغَمَ مَا يَفْعَلهُ فِيْهمْ سِوَاه[1]

لم يكف الشاعر صلاح أحمد إبراهيم عن بكائه في الغربة وهو الذي حتى موته لم تنطفئ نار شوقه بتلك الحبيبة التي تشتغل منديل حرير لحبيب بعيد، ويقول في قصيدته (في الغربة):

أُسْبُوعَ مَرَ وأَسُبُوعَان
جَوْعَانُ ولاَ قَلْبُ يَأْبَه
عَطْشَانُ وَضَنَوْا بِالشَرْبَة
وَالنِيلُ بَعِيدْ
الَناسُ عَلَيّهمْ كُّلَ جَدِيد
وَأنَا وَحْدِي
مُنْكَسِر الخَاطِر بِيَومْ العِيدْ

[1]. وطنى لصلاح احمد ابراهيم ، دار ابنوس للنشر والتوزيع ، أمدرمان 2007م ، ص95 .

تَسْتَهزِئ بِي أنْوَارْ الزِينة والضوضاء
تَسْتَهْزِئ بِي أفكاري المُضْطَرِبَة
وَأنَا وَحْدِي
فِي عُزْلَةَ منبوذ هندي
أتَمَثْلُ أُمْيِ – أخْوَانِي
وَالتَالِي نِصفُ اللَيّلِ طِوَال القُرْآنْ
فِي بَلَدِي
فِي بَلَدِ أصْحَابِي الْنَائِي
الأَعْصَمُ خَلْفَ البَحْرُ وَخَلْفُ الصَحْرَاء
حَيْثُ يُعِزُ غَرِيبَ الدَارُ يُحَبُ الضَيْفَ
وَيُخَصُ بِآخِرِ جُرْعَةِ مَاءٍ عِزُ الصَيْفَ
لِعَبَثِ الأَطْفَالَ
بلَيّلِ البِشْرِ وَالإيناَسْ إذَا مَا رَقّ الحَال
وأخَذَتُ أُغَنِى فِي شَجْوِ ، اَلَمِي ظَاهِر
يَا طَيْرُ الهِجْرَةُ يَا طَائِر
يَا طَيْرَاً وِجْهَتَهُ بِلَادِي
خُذْنِي بَاللهُ أنا وَالله أهِبْتُ
قُصَتْ أَقْدَارْ أَجْنِحَتِي *** وَأَنَا فِي زَاوِيَةُ أتَوَسْدُ اَمْتِعَتِي
يَنْحَسِرُ الظِلَ فَاَمْشِي لِلِظِلَ الآخَر[1]

فحنين الشاعر للنيل هو حنين لعشيرته التي تكرم الغريب ، بل هو تمجيد لمكارم الأخلاق التي اتصف بها قومه المتوجين بالشموخ والإباء، ذكر مصطفى سند عيد بلاده من وادي (بارو) إلى ضفاف النيل وفى قصيدته (مغترب) قائلاً:

[1]. النسل فى الشعر السوداني ، فتح الرحمن حسن الثني ، ط1 ، دار الجيل بيروت ، 1988م ، ص155-156 .

أَقُولُ فِي حَلَاوَةِ اللِّقَاء

اللهُ يَا بِلَادِي اَلتِي حَمَلَتُهَا فِي العَيْن

كُلَمَا تَعِبْتُ هَزّنِي أَرِيجُهَا وَكُلَمَا شَعَرتُ بِالإِعْيَاء

ذَكَرْتُ مَهْرجَانَ بَعْثِهَا ، ذَكَرْتُ أهلي

المُتَوَجِينَ بِالشُمُوخَ والإبَاء

شُمُوخَ عِزَتِي ..

والشَمْسُ اَلتِي تَطِلُ كَالعَرُوسِ مِنْ نَوَافِذِ السَمَاء[1]

وللشاعر الدكتور الزين عباس عمارة نفثات يراع قاسى لوعة الغربة فظل كل يوم يلعن (لندن)، فى القصيدة صدى عميق لتجربة الاغتراب المريرة وما يلاقيه المرء في بلاد المهجر من قسوة معنوية غليظة، وعزلة حسية فظة تعصف بالروح وتهز الوجدان فينكفئ الإنسان على نفسه بل ينفجر شوقاً وحنيناً إلى وطنه ونيله الخالد:

وَدّعْ هُمُومِكَ إذ تَوَدِعُ لَندْنَا *** وَارْحَل إلى السُّودَانِ قَلْبَاً آمِنَا

وَاتْرُك عَلَى أرْضِ المَطَارِ بِطَاقَةِ *** اُكْتُبْ عَلَيّهَا بِئْسَ ذِكْرَانَا هُنَا

إنْ تَذْكُرُونَا اِذْكُرُوا أحْزَانَنَا *** سَتَظَلُ أبْدَ الدَهَرِ جَرَحَاً كَامِنَا

كَمْ مَرَةٍ رَاوْدتُ نَفْسِي قَائِلاً *** العَوْدُ احْمَدُ فَلْيَكُنْ مُسْتَحَسَنَا

وَيَعُودُ يُثْنِينِي الرِفَاقُ فَانْثَنِي *** يَا لَيْتَنِي فَارَقْتُهَا مُتَيَقِنَا

وَقَصَدْتُ دَارَ الأهَلِ حَيْثُ أحِبَتِي *** إِخْوَانُ صِدْقِ بِالقَنَاعَةِ وَالغِنَا

[1]. ملامح من الوجه القديم ، مصطفى سند ، منشورات المجلس القومي للاداب والفنون ، 1978م ، الخرطوم ، ص86 .

فليعلم الجيل الجديد كفاحنا *** وليثنى الما كان يقصد لندنا

وَيُبَارِكُ السُّودَانُ فِي سَاحَاتهِ *** بَلَدَاً كَرِيمَاً آمِنَا

ومن الشعراء السودانيين الذين تأثرت كتاباتهم وحياتهم الشخصية بالغربة وإفرازاتها على الصعيد الإبداعي والمعنوي، الشاعر عبد الرحيم أحمد أبو ذكرى [1] الذي يقول:

أيُهَا الرَاحِلُ فِي اللَيّلُ وَحِيدَاُ مُوغِلَاَ

مُنْفَرِدَاً .

اِنْتَظِرْنِي ..... اِنْتَظِرْنِي

فَأنَا أرْحَلُ فِي اللْيّلُ وَحِيدَاً ضَائِعَاً

في الدَهَاليزِ القَصِيَاتُ اِنْتَظِرْنِي

فِي العَتَامِيرِ وفِي البَحْرِ .... اِنْتَظِرْنِي [2]

بما أن الغربة هي البعد عن الوطن والأهل، لذلك تتنازع الإنسان مشاعر مختلفة فيقول عن نفسه (وكبر قليلا وكبرت معه أشياءه الخاصة .. أحاسيسه بالغربة والحزن والشعر ..).

وكان يزداد انطواء على نفسه، كلما التفت عيناه بحقيقة جديدة من حقائق الموت والحياة [3] فالغريب دائماً تائهاً في الطرقات ربما لا يجد من يعينه، ويمد له يد العون والعطف فهو في حيرة من أمره، يقول الفيتوري في ذات القضية

---

[1] عبد الرحيم أحمد أبو ذكرى (1944-1990 شاعر وباحث في الاداب العالمية وكانت أشعاره معنية بمشكلات التقدم والتحرر الإنساني التعاصر – حياته مليئة بالكآبة والعزلة والإنزواء على الذات مات منتحرا له ديون شعر وحيد عنوانه (الرحيل في الليل) صدر في الخرطوم 1973 عن دار النشر لجامعة الخرطوم -www.dudanos-online-com-cyi sdl/266/cig?msg الأدب السوداني الحديث تداعيات الهجرة والاغتراب (مبارك السروجي) .

[2] المرجع نفسه

[3] ديوان الفيتوري – المجلد الأول – منشورات الفيتوري – بيروت 1972م ص 12

أَيُّهَا الْغَرِيبُ رُبْمَا تَعَثْرتُ عَلَي الصفُوف

أَلْفَ مَرّةٍ حَتَى عَيِيَّتْ

رُبْمَا مَدَدّتُ كَفَيّكَ

لِبِئْر عَقِمَتْ أَثَرَاوُه فَمَا سَقَيْتُ

رُبَمَا سَقَيْتُ فِي عَاصِفَة مِنْ ثُلُوج[1]

عاش الفيتوري في غربة عن وطنه وغربه في نفسه لذلك يحس بالضياع والوحدة، فقد عالجت قصيدة الغريب كل هذه الأشياء ويبدو ذلك في قوله:

يَا رَائِع الغُرْبَة لَا ..... لَا تَقُلْ مَا أَضْيَعَكْ

إنَا شَبِيهَانِ .. فَقِفْ قِفْ لَحْظَةٌ قَلْبِي مَعَكْ [2]

فالغربة عنده عاطفة مليئة بالمضحك والمبكي، وهي تفعل بالإنسان كما تعمله ماكينة الغزل بالخيوط، وليل الغربة بطئ عاجز عن الحركة كالشيخ المسن، فيقول في قصيدة أغنية موت قصيدة:

وَنَهَارَاتُ الغُرْبَة .

كَرَجَاءِ تُبْكِينِي وَتُضْحِكُنِي

وَتُرِيقُ أَلوَانْ .. وَتَغْزِلنُي

لَيّلَاً خَرِيفِيّاً بِلَا لَوْنِ

[1] ديوان الفيتوري – المجلد الأول – منشورات الفيتوري – بيروت 1972م ، ص 196.
[2] ديوان الفيتوري – المجلد الأول – منشورات الفيتوري – بيروت 1972م ص 12

لَيّلَاً عَجُوزَاً طَاعِنُ السِنِ

يَعْدُو بِخَيْمَتِه وَيَحْمِلُنِي

ويقول في قصيدة غريب ومتشرد، وكذلك ذكرياته مشددة وليس له من شيء يفعله إلا عد النجم والسفر إليها لعله يجد وطنه.

الغَرِيبُ الذِي لَا يَزَالُ

يَقْتَنِي الذِكْرَيَاتُ الشَدِيدَة

ويواصل في سرد مأساته في الغربة وما يلاقيه المغترب من صعاب ومشاقات خارج وطنه ويصف حالته حيث كانت في السودان تفوح عطراً، ويملأ الوجود بنضارته حيث يهفو إلى دفء الحياة الذي يضمه ويعيده وجهاً صغيراً، ثم بعد ذلك يصف حالته وهو خارج وطنه حيث يقول: إن الضياع أكل نضارته وبشاشته وأنه تحول من صغير إلى كهل، ويقارن ما بين بلده ولندن وفيهما شتى الاختلاف في كل شيء.

**الخاتمة :**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، تناولت هذه الدراسة الحنين في الشعر السوداني.

ولم تخرج معاني الحنين والغربة في الشعر السوداني عن المعاني التي طرقها الشعراء العرب، وقد غلب على الشعر السوداني الإحساس بالغربة والحنين داخل وخارج الوطن، وغربة اللون، والإحساس بالضياع، والغربة الذاتية، والهروب إلى عوالم الطبيعة والطفولة كملاذاً آمناً من الغربة.

تناولت هذه الدراسة ظاهرة الحنين والغربة في الشعر السوداني في ثلاثة فصول، حيث احتوى الفصل الأول والثالث على ثلاثة مباحث، أما الفصل الثاني فاحتوى على مبحثين، تطرقت الدراسة في فصلها الأول لمفهوم الحنين والغربة في الشعر العربي، وفي الفصل الثاني لنشأة وتطور الشعر في السودان، وفي الفصل الثالث لمفهوم الحنين والغربة في الشعر السوداني. توصلت الدرسة إلى نتائج أهمها:

1. الشعر العربي له تأثير واضح على الشعر في السودان حيث انعكس هذا على شعر الشعراء السودانيين.

2. انعكاس تداعيات الغربة كالإحساس بالضياع والقلق، في الشعر السوداني فطبعة بنبرة حزينة.

3. تجسدت في الشعر السوداني خصائص الشخصية في أرقى إدراكها لحب الوطن والحنين إليه.

4. بحث الشعراء السودانيين عن عوالم النفس وإثبات الهوية.

5. عانى الشعراء إحساس الغربة داخل الوطن وخارجه.

6. حنين الشعراء إلى عالم الطفولة واجترار الذكريات في غربتهم مما أثر في أسلوبهم كقصيدة المكي.

7. الاضطراب والحيرة والقلق الذي يصاحب المغترب عن دياره ينعكس في لونه الشعري.

8. إنكار لون البشرة في دول المهجر وما يلاقيه المغترب من سخرية واستخفاف، من أحد موضوعات الحنين إلى الوطن.

9. الحنين إلى الديار دافع الشعراء بالرجوع إلى الوطن.

10. لم يعانِ الشاعر السوداني الغربة بسبب المنفى أو السجن.

11. الحنين إلى أماكن خارج السودان.

12. لم يكن الحنين في الشعر السوداني إلى المحبوب بشكل مباشر.

13. لم تعرف الغربة في بداية نشأة الشعر السوداني.

14. الغربة في الشعر السوداني بسبب العوامل الاقتصادية جاءت متأخرة في زمنها.

15. الغربة في الشعر السوداني بسبب الانفعالات النفسية مكبلة.

**التوصيات :**

- الدارسة توجه الدارسات نحو الأدب السوداني الذي يحفل بكثير من القضايا التي تستحق الدراسة المنهجية.

**المصادر والمراجع:**

**أولاً: القرآن الكريم**

**ثانياً: الحديث الشريف**


1. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان 2000م.
2. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط1، دار المعنى، المملكة العربية السعودية 1998م.


**ثالثاً: الكتب**


1. اتجاهات الشعر السوداني المعاصر بعد الحرب العالمية الثانية، عبد الهادي الصديق، بحث غير منشور، الخرطوم ، المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون ، 1975م.
2. الاتجاهات الشعرية في السودان – محمد النويهي –1985م.
3. أسس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار صادر بيروت.
4. أصول الشعر السوداني، عبد الهادي الصديق، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الثانية أكتوبر 1989م .
5. الأعمال الشعرية الكاملة، أحمد شوقي، ط، دار العودة، بيروت – لبنان 1988م، مج1.
6. الأعمال الشعرية لمحمد المكي إبراهيم، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2000م، أمدرمان السودان.
7. الأعمال الشعرية، أحمد زكي أبو شادي، دار العودة، بيروت – لبنان 2005م.

8. الأغاني لأبي الأصفهاني، هذبه: ابن واصل الحموي، شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، طبعة أولي ،1963م ، ج 4.
9. الاغتراب في الفن، عبد الكريم هلال خالد، ط1، جامعة قاربوس، بنغازي – ليبيا، 1988م.
10. الاغتراب والحنين بين شعر المشارقة والأندلسيين في القرن السادس الهجري، مها الزهراوي، ط2، نادي المنطقة الشرقية– الدمام، المملكة العربية السعودية 2004م.
11. الاغتراب، رتشارد شاخت، ترجمة كامل يوسف حسين، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت– لبنان190م.
12. تاريخ السودان القديم وجغرافيته، نعوم شقير، ج3، مصر – دار المعارف 1930م.
13. التجديد فى شعر المهجر ص123 ، د. محمد مصطفى هدارة .
14. تراث الشعر السوداني، عز الدين الأمين، مصر –معهد البحوث والدراسات العربية 1969م.
15. التربية في السودان، عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، ج2، القاهرة – المطبعة الأميرية.
16. تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان ، محمد مصطفى هدارة .
17. الحركة الفكرية في السودان أين تتجه، محمد أحمد محجوب – 1934م.
18. الحركة الفكرية في السودان، د.محمد إبراهيم أبو سليم، الخرطوم قسم التأليف والنشر – جامعة الخرطوم 1977م.
19. حصاد التيه، على عمر قاسم ، دار الثقافة ، بيروت ، ( د، ت ).

20. الحماسة البصرية، البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، "، حيدر أباد – الهند 1964م، ج1.
21. الحنين إلى الأوطان لأبي منصور محمد بن سهل المرزباني الكرخي، تحقيق: جليل عطية دار الحرية للطباعة، بغداد.
22. الحنين إلى الأوطان، ابن المذربان، تحقيق جليل عطية، ط1، عالم الكتب، بيروت– لبنان 1987م.
23. الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتي نهاية العصر الأموى، دار القلم دمشق – سوريا 1989م .
24. الحنين والغربة في الشعر العربي، يحيى الجبوري، ط1، دار مجدلاوي، الأردن – عمان 2008م.
25. دراسات في تاريخ السودان، يوسف فضل حسن، الخرطوم: دار التأليف والترجمة والنشر – جامعة الخرطوم 1975م.
26. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان 2000م، ق2.
27. الرومانسية ( مكتبة نهضة مصر بالفجالة ) ، د. محمد غنمي هلال.
28. السودان عبر القرون، دكتور مكي شبيكة، بيروت دار الثقافة.
29. شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبر، القاهرة ط1 ، 1930 ، ج1.
30. شرح ديوان امرئ القيس، تحقيق حسن السندوبي، دار إحياء العلوم، بيروت، طبعة ثانية 1996م.

31. الشعر الحديث في السودان، محمد إبراهيم الشوش، ط2، الخرطوم، لجنة التأليف والنشر، جامعة الخرطوم.
32. الشعر السوداني في المعارك السياسية، محمد محمد علي.
33. الصراع بين المهدية والعلماء، عبدالله إبراهيم علي، الخرطوم : جامعة الخرطوم 1966م.
34. العباسيات ، محمد سعيد العباسي ، ( 1999م ) ، دار البلد الخرطوم.
35. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، طبعة ثالثة 1963م ج.3
36. الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، فاطمة طحطح، مكتبة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، 1993م.
37. فرح ود تكتوك حلال المشبوك، الطيب محمد الطيب، الخرطوم: دار الطابع العربي.
38. قصة قلب ( بيروت : دار الثقافة ) ص14 ، محمد أحمد المحجوب .
39. الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط1،1365 هـ ، ج2 .
40. كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون،ط، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة- مصر 1967م، ج6.
41. لزوم ما لا يلزم اللزوميات، أبو العلا المعري، ط، دار صادر، بيروت-لبنان 1983م، مج1.

42. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، جمعها يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1974م ، ج1.
43. مختارات من الأدب السوداني، الطبعة الأولي، الخرطوم، دار التأليف والنشر، جامعة الخرطوم 1975م.
44. مخطوط أشعار المهدية (الخرطوم، دار الوثائق المركزية).
45. مخطوطة كاتب في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية مؤلفها أحمد بن الحاج أبو علي، تحقيق الشاطر البصيلي.
46. المنازل والديار لأسامة بن منقذ، تحقيق: مصطفى حجازي، مطابع الأهرام التجارية بمصر، طبعة أولى.
47. المهدي والمهدية، أحمد أمين، ص: 11 وما بعدها، الشعر الحديث في السودان، عبده بدوي.
48. مؤسسة أعمال الموسوعة العربية العالمية، ط2، المملكة العربية السعودية – الرياض 1999م.
49. نشر الأزهر الشذية، الشيخ الطيب احمد هاشم، جمع احمد البشير الطيب، الخرطوم شركة الطبع والنشر، 1963م.
50. نفثات اليراع، محمد عبدالرحيم، الخرطوم – شركة الطبع والنشر 1931م.
51. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، ج4.
52. نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، ط1، دار البلاغة، بيروت، القاهرة 1989م.

53. النيل فى الشعر السوداني، فتح الرحمن حسن التنى، ط1 ، دار الجيل، بيروت، 1988م .

**رابعاً: الدوريات والمجلات:**

1. مجلة الفجر
2. مجلة عالم الفكر.
3. مجلة آفاق الثقافة والتراث.

**سادساً: المواقع الالكتروني:**

1. www.candy.online.net.vb.showline.bht?=T1156
2. www-sudanose-online-com-cyi-bin-sdl/266/cig?msg

**سادساً: دوواوين الشعر:**

1. ديوان البحتري ، شرح وتقديم حما فاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولي ، 1995م ، ج2.
2. ديوان كثير عزة ، شرح عدنان زكي درويش ، دار صادر ، بيروت ، ط 1994م 1م.
3. ديوان جرير ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ط 1994، 1م.
4. ديوان المرقشين ، تحقيق : كارين صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1998 م.
5. ديوان الأحوص الأنصاري ، تحقيق سعيد ضناوى، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1998م.

6. ديوان عمر بن أبي ربيعة ، شرح يوسف شكري فرحات – دار الجيل – ىبيروت طبعة أولى – 1993م
7. ديوان جرير – شرح أحمد إسماعيل الصاوي – مطبعة الصاوي بمصر 1935م .
8. ديوان امرؤ القيس، ط2، دار المعرفة، بيروت – لبنان 2004م.
9. ديوان تأبط شراً، ط1، دار صادر، بيروت – لبنان 1996م.
10. ديوان، الأعشى همدان، تحقيق حسن أبو ياسين، ط، دار العلوم، الرياض – المملكة العربية السعودية 1983م.
11. ديوان، الشريف الرضي،ط، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان1310هـ ، ج1.
12. ديوان، الإمام الشافعي، ط15، الفكر العربي، بيروت– لبنان 2007م.
13. ديوان أبو فراس الحمداني، ط، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان 2007م.
14. ديوان المتنبي، ط15، دار صادر، بيروت – لبنان 1994م.
15. ديوان قيس بن الملوح ، ط!، دار مكتبة الهلال، بيروت – لبنان 2005م.
16. ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق: محمود علي مكي، ط1، دار الكتب الإسلامي، دمشق – سوريا 1961م.
17. ديوان أبو تمام، ط1، دار الفكر، بيروت – لبنان 2001م، مج1.
18. ديوان الاسكندرية، تحقيق: حسين نصار، ط، دار مصر للطباعة، الفجالة– مصر 1969م.
19. ديوان الفيتوري – المجلد الأول – منشورات الفيتوري – بيروت 1972م .
20. ديوان اشراقة ، التجاني يوسف بشير ، بيروت ، دار الثقافة عام 1972م.

21. ديوان أصداء النيل ( د . ت ) الدكتور عبد الله الطيب ، دار المعارف ، القاهرة.
22. ديوان التني – يوسف مصطفى الثني – مطابع دار الكتاب العربي – 1955م – القاهرة.

**سابعاً: المعاجم**

1. الأغاني لأبي الأصفهاني ، هذبه : ابن واصل الحموي ، شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، طبعة أولي ،1963م ، ج 4 .
2. التكلمة والذيل والصلة للصنعاني ، ج6.
3. تهذيب اللغة ،للأزهري ، ج3 .
4. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي، ط، دار صادر، بيروت – لبنان (د،ت)، مج1.
5. العين للخليل بن احمد ، ج 3 .
6. قاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ،دار الجيل ، بيروت.
7. كتاب الزهرة – للأصفهاني ج2 .
8. كتاب الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مادو حنن ،ج5.
9. لسان العرب، ابن منظور، باب الباء، فصل الغين، دار الجيل بيروت– لبنان 1988م.
10. مجمع الامثال لآبي الفضل أحمد بن محمد احمد بن إبراهيم الميداني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، طبعة ثانية 1987م ، ج3.

11. مجمل اللغة ، أبي الحسن احمد بن فارس ن تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، باب حن ، ج1.
12. المحيط في اللغة، الصاحب إسماعيل بن عباد، ط1، عالم الكتب، بيروت 1994م، ج5.
13. مختار الصحاح، الرازي، مادة غرب ط1، مكتبة لبنان 1989م.
14. معجم البلدان لياقوت الحموي – دار صادر بيروت طبعة رابعة ، 1991 ج2 ص 73.
15. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون "مادة غرب"، ط2 القاهرة، مصر 1972م.